(الحيَاةُ حِكَايات)

ـ شوقي مسلماني

- 2021 -

\\

جئتُكم بِنبأ من سَبَأ.

\\

(تقديم)

سنة 2013 صدر كتاب "كونين ـ لطائف وطرائف"، وحظي بإهتمام، وكتب عنه الصديق الأستاذ عون جابر في صحيفة النهار البيروتيّة، ومن ضمن ما كتب: ".. أنّ حفْظَ المادّة، إضافةً إلى اللّذّة والمتعة في القراءة، قد يكون هدف الكتابة، وتسجيل نوادر الضيعة، وهذا ما بدا في المقدّمة، ولكن يمكن الإضافة، دون أن يكون ذلك من مقصدِ العمل، بأنّ بناء هذه الذاكرة "الضيعاوية" في فترةٍ زمنيّةٍ محدودة، ولجيلٍ محدّد، يحملُ دلالاتٍ إجتماعيةً وأنتروبولوجيّة وثقافيّة قد يستفيد منها أصحابُ الإختصاص"، وقوله: "يحملُ دلالاتٍ إجتماعية وأنتروبولوجيّة وثقافيّة قد يستفيد منها أصحابُ الإختصاص شجّعني على التفكير بإنجاز الجزء الثاني، الذي فكّرته لوفرة مسودّاته، وبي رغبة ألاّ تضيع، وكلّه أيضاً قصص واقعيّة لأبطال حياة بلدة كونين ـ الجنوبيّة اللبنانيّة الواقعة ضمن "الشريط الحدوديّ" مع فلسطين المحتلّة. وكان تواصل مع أصدقاء، لأتمَّ الفكرة، وفي الطليعة "بلديّاتي" وصديق الشباب: إبراهيم خليل فوعاني ـ الشاويش، كما يُلقّب الآن، أو المختار، واللقب الأخير مستحدَث. والحقّ، وبالمناسبة، لا هو "شاويش"، ولا هو "مختار"، أو هو لم يكنهما يوماً، ولن يكونهما يوماً، لطيبته، و"الشاويشيّة" جاءت من مشيته، ولأنّه "فقير"، و"الْمَخْتَرَهْ صَارتْ بِتْكَلِّفْ".

وكان الحصاد التالي:

(شلغينة نوخة)

تزوّجَ محسن عناني في أواخر خمسينات القرن العشرين، من السيّدة "نوخة"، التي كانت دائمة الحركةِ والإبتسام، وفي آن لم تُرزَق ببنين، وأصلُها من بلدة بنت جبيل ـ جنوب لبنان ـ مركز القضاء ـ مجاورة لكونين المتربّعة على رأس جبل. وتطلّقتْ في ما بعد، وآنستْ، على الرغم، لنبلها وعزّة نفسها، ولأسباب خاصّة بها، العيش في كونين، وحيدةً في غرفة قريبة من بيت ذيب مندو.

كانت كلّها حيويّة، تفرح مثل أهل الضيعة عندما كانت تسمع أن شابّاً سيتزوّج، تشارك، ودون أي مقابل، في "جَلْي العروس". تُحمِّرُها، تُبودِرُها بفنّ، تزبّطُ لها حواجبها، تزيل الشعر غير المرغوب، بمساعدة لفيف من صديقات العروس، اللّواتي، وبالمناسبة، كنّ يمددن أرجلهنّ و"يمسحن" ـ يزلن الشَعر ـ أيضاً، أمّا عدّة المسح فكانت، في ذلك العصر والأوان، تُصنَع يدويّاً.

أهلُ العريس يجلبون السكّر و"الحامض" ـ الليمون، فيما الصبايا، وبإشراف نوخة، يضعن السكّر وعصير "الحامض" في وعاء على نار "خفيفة"، وهي مهمّة تلزمها خبرة من معلّمة، لأن الطبخة حسّاسة، وأي نار زيادة تجعلها "تشوط" ـ تفسد ـ يسمّونها "الشلغينه" الحلوة المذاق، وهذا العمل كان يتمّ قبل ليلة "الْدخْلهْ" بيومٍ واحد.

وفي مرّة مسحن لعروسٍ جلدها "حسّاس"، لا يحتمل أي أذى، والشلغينة مؤذية، وحصلَ الذي حصل، وتورّمَ جلدُ العروس.

كان هذا من سوء حظِّ العريس، فكلّما أراد أن يمارس مع عروسِه "حقوقَه الشرعيّة" كانت العروس تصرخ من شدّة الألم.

وصباحاً باكراً جاءت أمُّ العريس لتأخذ "النتيجة"!. وجدت العروسين يجلس كلٌّ منهما في زاوية. تكرّرَ الأمرُ في اليومِ الثاني والثالث، حتى صارتْ "تِغْلي" ـ أي هي في كرب شديد ـ "بدّها عاذْ إبنْها بِفْقيْ هالدِّمَّلِي"!.

أخذتْ كتّتَها إلى الدكتور وجيه زيتون في بلدة دير كيفا ـ الجنوبيّة اللبنانيّة. فهِمَ الدكتور أنّ "بتَاع" العروس "ورْمانْ"، وأنّ "بتَاع" العريس "إكسترا لارج" ـ أكبر من المعتاد.

نصحَ العريسَ أن "يجلغم" الورمَ بزيتِ الزيتون، ثمّ يتّكل. عملَ العريسُ بمشورةِ "الحكيم"، اتّكل و"مِشِي الحالْ"!.

(الأخ نخّ!)

تقدّمَ أبو جميل، عبدالله طعمة، في السنّ، ولكنّ روحَ الشباب كانت تستيقظ فيه، ولو مرّة في "كلْ كمْ شهرْ"!. مرّة التقاه محمّد نجيب، قريباً من دكّان علي الحجّة، عند أوّل طلعة كونين القائمة على رأس جبل. وبعدَ السلام قال: "كِيف الْهِمّهْ يا حجْ بُو جميلْ"؟. قال، وقد فهم السؤال: "باللليلْ، مِنْ كَمْ يومْ، حسّيت عْليه تْحرَّكْ، وْرفَعْ راسُهْ، قِلِتْ: "عَالْ". دبّيتْ ـ رَمَيتْ ـ حالي ـ جسمي ـ على نهلهْ ـ "زوجته" ـ شلّحتْها أوّلْ بيجامهْ، وتاني بيجامهْ، وتالت بيجامهْ، وْلَمَّا وْصُلْتْ للكلْسَوْن، أَخَدِتْ مِعِي وقتْ ـ انقضى وقت طويل ـ رِجْعِ الْأَخْ نَخ"!.

(زوجْ إمّي)

الحاجّة سلمى، بيتها من غرفتين، يجاور جامعِ الضيعة ـ كونين ـ العامليّة اللبنانيّة. سألتْها جمعيّةُ كونين للوعظ والإرشاد، وذلك في أوائل سبعينات القرن العشرين، أن تتخلّى عن غرفة، توسيعاً للجامع. أعطتْ، آملةً أن تحظى، كما قال لها وفدُ الجمعيّة، عوضاً قصراً في الجنّة. وبعد أسبوع رجعَ الوفدُ، فالجمعيّة بأمسّ الحاجة للغرفة الثانية، أوضحوا أنّ الخريطة قد "زركتْهم". استاءت. قطّبتْ ما بين حاجبيها. ألحّ عليها وفدُ الجمعيّة كي توافق، على رغم ما سمعوا منها قولها النهائي والصريح: "إذا الزيتْ احْتاجُه أهلُه يُحرمْ على الجامعْ". استنجدوا عليها بآيات وأحاديث. قالت، قبل أن تقوم إلى عملِها، وهم يغادرون: "عالْ، كاينْ ربْنا زوجْ إمّي وْأنا مشْ عارفِهْ"؟!.

(خمسة قروش)

كان لدى أسعد "أبو علي" قطعة أرض، فيها بضع شجرات مثمرة، وكان في أواخر ستينات القرن الفائت يأخذ ممّا "يحوّشه" ليبيعه في "سوق الخميس" ـ سوق بلدة بنت جبيل، المجاورة لبلدتي كونين، كان يضع الثمار مثلاً في "لَكَنْ أَلَمِينْيُومْ" تحمله ابنتُه الكبرى خديجة على رأسها، ويمضيان مشياً، على طريق ترابي يمرّ بمحاذاة جبّانة الضيعة، وهما قريبان من "صفّ الهوا" ـ ناحية في الطريق من كونين إلى بنت جبيل ـ وعيناثا القرية المجاورة أيضاً ـ شعر بحاجة لقضاء "حاجة"، دخل "كرم" تين قريب، وعندما عاد إلى إبنته المنتظِرة قال لها إنّه من حيث كان.. رآها تنحني إلى الأرض، وسألها إذا عثرتْ على شييء؟، قالت مبتهجةً أنّها عثرت على "فْرنك" ـ خمسة قروش ـ أقلّ العملة اللبنانيّة ـ ولكنّ بهجتها سرعان ما انقلبت إلى أسى حين رأت أباها يسحب من جيب بنطاله الخلفي محفظته، ويفتحها وهو يقول: "اعطيني الفرنكْ يا بنتي، لنحطّ المالْ على بعْضُهْ"!.

(جهةُ الألم)

استفحلَ وجع كتف أحمد، كان يقطن في غرفة وحده بين بيت قاسم طعمة وبيت محمّد علي حيدر، عند آخر "طلعة" الضيعة ـ كونين ـ ترتفع عن سطح البحر 720 متراً، كان الزمن ستينات القرن العشرين، حين عرفتْ بلدة "رميش"، وهي بلدة مسيحيّة بالمناسبة، غير بعيدة من كونين، المسلمة بالمناسبة أيضاً، طبيباً "شاطراً"، ومشهوراً بإسم "الحكيم أبو تنكه"، وذلك، كما قيل، لكثرة علب التنك في عيادته، التي هي أصلاً بيته، ويحتفظ فيها بالجذور والزهور المجفّفة والبذور المختلفة، وغير ذلك من حاجات طبيب في قرى وبلدات كانت لا تزال من أطراف لبنان "النائية" ـ المهملة. وحملوا أحمد إليه، وسأله "أبو تنكه": "أيْنُو كتْفِ الّلي بْيُوجَعَكْ"؟ ـ أيّ كتفيك الذي يؤلمك"؟. قال أحمد: "كتفي الّلي مِنْ صَوبْ بيتْ قاسم طعمهْ"!.

ـ الحكيم "أبو تنكة" هو الطبيب جوزف الحاج، اشتهر بمساعداته للفلاّحين البسطاء، يُقال أنّه أصلاً من بلدة قيتولي الجزّينيّة ـ جنوب لبنان، ويُقال إنّه فلسطينيّ الأصل، هاجر إلى رميش بعد النكبة وعاش فيها أكثر من ثلاثين عاماً.

(يومُ الغزال)

ستينات القرن الفائت كان كامل علي مسلماني "أبو محمّد" شابّاً، وصيّادَ فرٍّ ماهراً، وفي مرّة كان قريباً من "المرج" ـ ناحية جبليّة من نواحي كونين، مشرفة على "العريض" ـ غابة الضيعة، ومعه كلبته السلاقيّة الماهرة "رهجة"، ولاحظ رطوبةً في تراب عند باب "خلد"، أيقن أنّ الجوار فيه صيد، اختبأ خلف "ربعة" ـ تلّة ترابية، واحتضن رهجة، في محاولةٍ لإفهامها بوجوب عدم الحركة، وفجأةً ظهر بكامل أبّهته، غزال فيه أكثر من "25 كيلو لحم"، كان قريباً جدّاً، وخوفاً من أن تمزّقه "الحوّاشة" التي في "الجفت" ـ والحوّاشة خرطوشة فيها 9 قطع معدنيّة كرويّة، والجفت سلاح صيد ـ صوّبَ إلى قوائم الغزال، وتمكّن منه، ولكن كيف يحمله إلى الضيعة؟، لم يعدم الحظّ الحسن أيضاً، رأى من مكانه المرتفع جدَّه محمّد أسعد مسلماني "أبو علي" عند سفح الجبل المواجه، وهو على حمارة، ناداه، ونقلا الغزال إلى الضيعة، واجتمع أهل البلد يتفرّجون، وللشراء من لحم الغزال، هذا يطلب "أوقيّة"، وذاك "أوقيّة ونصّ"، بينما طلب أبو فوزي ـ حسين عبدالله طعمة ـ المعلاق ـ الفشّة والسودا والقلب، والجميع دفعوا إلاّه، مؤكّداً أنّه سيدفع غداً، والتقاه كامل "أبو محمّد" في اليوم التالي، وقال له: "بْيطْلَع عْلَيكْ "هلْقَدْ" ـ أي حدّدَ له الثمن المتوجّب أن

يدفعه، فقال أبو فوزي، وقد كان شهيراً بسرعة بديهته وطرافاته: "لَكْلَكْ، شُو كاين الْغزالْ رَابيْ عَ معلفْ بَيّكْ"؟!، ولم يدفع، وقهقها معاً عالياً.

ـ نشرتُ قصّة "يوم الغزال" على صفحتي في فايسبوك، وجاءتني رسالة ألكترونيّة من "بلديّاتي"، وهو الصديق علي سلامة، تقول: "أصحابُ الطرفةِ والفكاهةِ ليسوا ممّن صرفوا أعمارهم هباء، بل هم على قسط وافر من الذكاء والنباهةِ والحنكة، وإنّما لعدم وجود المدارس آنذاك، حُرِموا من نعمة العِلمِ والتعلّم، وهنا أشير لبعضٍ منهم في قريتنا، الذين اشتهروا بالدعابة والمرح، وسرعة البداهة والفطنة، وأعني المرحوم أبو فوزي، كان شخصيّة مميّزة، هكذا خلقه ربّنا، لو سلّم عليك، أو تكلّم معك، ولو أيّ كلام عابر، ستفيض روحك بالبهجة، كان من بين خمسة أشقّاء تربّوا في بيت فاضل، اشتهر بالورع والتقى، لكن هنا أنحاز، شخصيّاً، قليلاً، لوالدتهم، لأنّي أعرفها جيّداً، كانت تربطنا بها صلة قرابة ورحم، فهي إبنة عم والدي (اللّزم)، وكانت، رحمها الله، ذات قامة ممشوقة، وصوت لا يخلو من نبرةِ الأمر، كانت تُعدّ "إخت رجال" بحقّ، هي الحاجّة "بيكه" سلامة، التي "زربت" مأمور الجباية التّركي مع البقرات والحمارة في الإسطبل، لأنّه طلب منها دفع "الوركو" للسلطنة العثمانيّة، أنجبت من الحاج عبدالله طعمة خمسة شبّان، وكلّهم من أصحاب الوجاهة والإيمان، والميل للفرح وحبّ الحياة، وأعتقد جازماً أنّهم يميلون بشخصيّتهم هذه لأمّهم، وبإختصار، جذبتني طرفة المرحوم أبو فوزي: "شو كاين الغزال رابي ع معلف بيّك"؟ في قصّة "يوم الغزال"، وأنا عاصرتها صغيراً، وأبو محمّد، كامل مسلماني، رحمه الله، كان صياداً يُشهد له، وإليك عن أبي فوزي، وعذري من محبّيه وذويه، كيف يبادر للطرفة متى حبكت، ولو في لحظات حرجة: "ذات مرة أراد الحصول على دفتر لقيادة السيارة ـ " دفتر سواقة"، ذهب الى دائرة السيّارات لإجراء الإمتحان، وكان إمتحان، وليس كما اليوم ـ 2018 ـ يأتيك وأنت في المنزل، طلب الموظَّف من أبي فوزي قيادة السيارة، كإجراء للفحص العملي، وصعد الى جانبه، قادها أبو فوزي لمسافة، على نحو مقبول، حتى طلب منه الموظّف أن يتوقّف، وانتقل معه الى الاسئلة الشفهية، والسؤال الأخير: "اذا كنت يا حسين تقود السيّارة، ومعك ركّاب، ولاحظت وجود دخان، ورائحة كريهة داخل السيّارة، ماذا يكون السبب"؟، صفن ثمّ قال: "بسيطه، بيكون حدا من الركّاب "فِسِي"!، انقلب الموظّف "على ظهره" ضحكاً، وحاز أبو فوزي دفتر القيادة.

(بْلِيْلِهْ)

كان أهلنا في كونين، كما في كلّ المجتمعات الفلاّحيّة، إذا أحدهم لديه "شْكَارة" ـ قطعة أرض ـ قمح أو شعير أو عدس أو حمّص أو فول أو ذرة حمراء أو بيضاء.. إلى آخره، وقصَّر، لسبب، في حصاده، أو حليشته، والحصاد للقمح، والحليشة للحمّص، يجد من يعينه، ويُقال أن كلمة "دلعونا" جاءت من هذا الواقع، أي من "العونة"، التي صارت أغنية نتغنّى بها، وكان علي العجمي "أبو حسين" يقدّم "العونة" لصديقه أسعد، وكان من الطبيعي أن تُحضِّر أسرة أسعد الغداء، وكان "الأكل" المفضَّل هو "البْلِيْلِهْ"، وهي "مْخِيض" مع برغل، والمخيض يُستخرج عادةً من الحليب الذي يوضع في جرّة، يُقال لها "الخضّاضيّة"، وهي توضع على الأرض فوق "طرّاحة"، أو قطعة قماش، وتحرّكها المرأة ذات اليمين

وذات اليسار، لنصف ساعة، فيخرج "المْخِيضْ والزِبْدِهْ"، وأحضرتْ الزوجة "المْخِيضْ" "للحصّادِهْ" أو "للحلّيشه" في الحقل، وبينهم علي العجمي، خالياً من البرغل، نِسياناً فقط، ونادت: "يلاّ شرّفوا عالغدا"، وكانت المجدّرة، وكان البيض المسلوق، والبصل الأخضر، فيما علي العجمي ذاته الذي كانت عيناه على "اِلبْلِيلِهْ"، كان كلّما "يضْرُبْ" ـ يغرف عميقاً بالملعقة ـ لا "يطْلعْ" له غير "المْخِيضْ"، من دون البرغل الثمين والطيّب وهو في هذه الطبخة، أخيراً رمى الملعقة جانباً بحركة مسرحيّة طريفة وأخذ في رفع "كْمَامْ قمِيصهْ"، رأته سيّدة البيت، سألته: "شُو عَمْ تعْملْ يا بُو حْسينْ"؟!، قال: "بدّي شِكّ ـ أغطس ـ بالطنْجرهْ، تَشُوفْ البرغل وَين"؟!.

(الجمّالة)

في ستينات القرن العشرين، كان "جملان" في كونين، لينقلا "بنادك" القمح والذرة، وغلالاً كثيرة، وأحد الجملين كان للمرحوم حسن شبلي "أبو علي" "بقيادة" إبنه علي، صاحب الصوت الشجي، وغالباً يغنّي للمطرب "فهد بلاّن" ـ السوري، صاحب أغنية: "لأركبْ حدّكْ يا الْمُوتُورْ"، والجمل الثاني كان للمرحوم محمّد محمود مهنّا، وكان "بقيادة" إبنه عبد المنعم. وكان الواجب على علي وعبد المنعم أن يعملا معاً، لا لسبب إلاّ لأنّ الجمل لا يُبدي "حيويّة"، "وْما بيَعْطِي إنتاج بمُفْرَدُهْ"، وكان المزارعون ينتظرون نقْل "قشّهم" بالدّور، والقاعدة أن يبدأ العمل مع طلوعِ الفجر، وعند التاسعة صباحا يكون موعد الفطور، الذي يقدّمُه "صاحبُ القشّ"، وعند الثالثة ظهراً يُقدَّم الغداء، وجاءَ دور الحاج علي فْصَاعِي، كان محصوله في ذلك العام، قياساً بغيره، قليل، تخطّت الساعة التاسعة صباحاً، لم يُقدِّم فْصاعي الفطور، قال "للجمّاله"، أي لعلي وعبد المنعم المتذمِّرَين: "بعدْ ساعتينْ منُخْلصْ، مشْ مِجرْزِي نقدِّم الفْطُورْ، بنِتْغدّى فرد مرّه"!، غَضِبا، وضمنيّاً قرَّرا الإنتقام على طريقتهما، انتهيا من "الرجيدهْ" ـ وهو إسمُ عملهما ـ وحان موعد الغداء، قدّم لهما مجدّرة وبيضاً مقليّاً وبيضاً مسلوقاً ولبناً ولبنة وبطاطا مقليّة، وبالإجمال قدّم لهما من فخامة ضيافة جبل عامل ـ جنوب لبنان ـ ذلك العصر والأوان، ما يكفي لإشباع خمسة أشخاص، إلاّ أنّهما "طَحَنُوهنْ طَحنْ"، وقالا: "يا حجْ بدْنا نتْحلّى بعْدِ الأكلْ"، فأحضر لهما طنجرة "بَحْثهْ"، وهي "رزّ بحليبْ"، كانت زوجته قد طبختها لأبنيهما، اللذَيْن سيأتيان من العاصمة بيروت، "طحنوها"، وأعادا الطلب: "يا حج بدْنا نتْحلّى"!، خجل منهما، وأحضر لهما مرطبان "تينْ مغْلي"، التهماه، ونظرا إلى بعضيهما، وقالا معاً للحاج فْصاعي أيضاً: "يا حاجْ بدنا نِتْحلّى"!، وعند هذا الحدّ غضب، رحمةُ الله عليه، وقال لهما بطيبته: "ما خلّيْتُوا عِنْدِي شِيْ، بَعدْ فِي الْحجّهْ ـ زوجته ـ بْجبلْكُن تَاكْلُوها"؟!.

ـ وقالت مصادر "موثوقة" إنّ علي شبلي، في ذلك اليوم، "خبط وحْدهْ ـ أي أكلَ غير الذي أكله صديقه عبد المنعم ـ 13 رغِيفْ مَرْقُوقْ"، وكلّ رغيف مرقوق هو بحجم ذراعي رجل مفتوحتين!.

(صَيْبة العين)

على رغم إنفتاح القرية اللبنانيّة "النائية"، بتوصيف مستمرّ، عن العاصمة بيروت ـ إلى سبعينات القرن العشرين، ولبنان أصلاً كلّه بالكاد عشّ عصفور ـ وتقريباً من النصف الثاني للخمسينات، بفضل البوسطة، ثمّ السيّارة التي تكاثرت على نحو مذهل، وقلبت حياة الضيعة، وكانت، إلى حدٍّ بعيد، منطوية داخل "حدودها التاريخيّة"، كأنّها بذاتها، عالم شبه خاصّ، حيث الداية، أو الحلاّق، "حكيمُ الضيعة" ـ طبيبُها، والشيخ، أو السيّد أو المختار، "عقلُها المدبّر"، ولها ناطور ودبّيكتها، ومن ذا الذي ليس له لقب؟، وحدّثني عنه الحاج شاهر علي مسلماني "أبو شوقي"، راقداً في مستشفى كوغرا ـ سيدني ـ أستراليا، من أثر داء السكّري، وأنا أعوده، قال، وبإختصار شديد ما عليه مزيد: شعلان ـ إبنه "أبو نبيه" ـ الرجل الأخضر ـ ولهذا اللقب حكاية سنقصّها في مرّة ـ كان يحمل، وذلك في سبعينات القرن الفائت، "صَجَرَهْ" ـ شجرة ـ يابسة، على الحمارة، حطباً إلى جدّته المرحومة الحاجّة "أمّ عبد اللطيف مهنّا"، واسمها، رحمها الله، "أمّ العلى"، وما أجمل هذا الإسم، ورآهُ كريم، سأله، مبدياً إعجاباً، وربّما تشجيعاً: "كِيْفْ قَابِعْ هَـ الصَّجرَهْ يا شعلان، مانك قليل"!، وانتهى قوله، وكأنّما "كُنْ"، وقطعة واحدة، مع "الصجره"، وبأرضها، والله أعلم كيف؟ و"أَلَبَتْ الحْمَارَهْ" ـ وافترشت الأرض، والذعر والدهشة، وبوضوح، للناظر بوجه شعلان، واقتنى نزيه مسلماني ـ محمّد نزيه علي مسلماني ـ "أبو عدنان" ـ شقيق "أبو شوقي"، سيّارة، في ستينات القرن العشرين، وكان من أوائل الذين اشتغلوا على خط بنت جبيل ـ بيروت ـ 135 كلم وبالعكس، "شوفير" ـ سائق أجرة ـ سرفيس ـ عمومي ـ تاكسي، رآه كريم وهو يقودها، ناداه، سائلاً بكلّ الفخر، وربّما التعجّب حقّاً: "والله يا نزيهْ، بْتِعْرفِ تْسُوقْ"؟!، وقبل أن يلتفت أبو عدنان إلى مصدر الصوت: "أَلَبَت السيّارهْ"، في الحقل المجاور، "بُوزْها ـ مقدّمها ـ لَتَحْتْ"، و"طِيزْهَا ـ خلفها ـ لَفَوْقْ"، ونزيه متمسّك بالدركسيون ـ المقود ـ غير مصدِّق ما هو فيه، ولا ماذا حصل؟!، ومرّة كان الحاج قاسم طعمة، رحمةُ الله عليه أيضاً، "ضَاهِرْ من بيته عَ الحْرَاثِهْ" ـ فلاحة الأرض، "بَسْ شافْ كَرِيمْ، رِجِعْ"!، سألتْه زوجتُه: "مبيّنْ رجِعِتْ"؟!، قال، وهو يخلع نعليه: "ما في فلاحه اليوم، تْصَبّحنا بكريم"!.

ـ نشرتُ ورقةَ "صيبة العين"! على صفحتي في فايسبوك ـ 2020 ـ وكان تعقيب لبلديّاتي هو عدنان فوعاني: "عمّتي الحاجّه هنيّة فوعاني، رحمة الله عليها، أخبرتني أنها في سوق يوم الخميس، في بلدة بنت جبيل ـ مركز القضاء، والذي تقصده القرى المجاورة للتبضّع،

اشترت لحمة "لتعمل كبّه"، ـ أكلة ـ باب أوّل. تدقّ الزوجة اللحمة على البلاطة، تنزع منها "الشروش"، ثمّ "بتبلّش تقلبها.. وبترشّ الكمّونه عليها"، وفجأةً، وإذ بالباب يُطرق، لم يكن غير صاحبنا ذاته، استأذن الدخول، قالت عمّتي لجدّي المرحوم الحاج محمد قاسم فوعاني: "الله يستر"، وبمجرّد دخوله لفتت نظره "البلاطه" والدقّ عليها فقال: "شو هالبلاطه الحلوي، منين جايبينها"؟. وانتهى كلامه، وإنفسخت ـ انشطرت ـ انكسرت البلاطه شققتين. ردّ بلدياتي آخر وهو خليل سلامي: "بس شافتو عمتك، الله يرحمها، توتّرت، ضربت البلاطه بالمدقّه ضربه قويّه". وأضاف وقوله حقّ: "الله يرحمو، كانت الضيعه كلها تتوتّر بسّ ـ عندما ـ يمرق ـ يمرّ"!.

ـ وكان تعقيب أيضاً من الصديق د. فوزي شعيتو وهو من بلدة الطيري المجاورة لكونين: "صديقي العزيز شوقي، ذكّرتني بالمناسبة بقصّة أودّ أن أوردها وهي عن حسود، ففي صيف ستينات القرن الفائت كنّا نعود من بيروت الى الطيري، كان أخي الأكبر موظّفاً في الدولة بصفة مهندس زراعي كبير، راتبه حوالي 800 ليرة لبنانية، كان راتباً جيّداً، وبسبب من سكنه في مدينة صور وتنقّله الكثير اقتنى سيارة "أوستن" (Austin). كان أحد أترابي في القرية ينتقد سيارة شقيقي وينعتها بأشد النعوت سوءاً، ويقول مثالاً لا حصراً: "سيارة الأتشه؟، شو هسّيّاره؟!، فيك تحملها وتدكرجها عالوعر"!. كان يسمع هذا الكلام من أبيه الحسود.

(منبر الحمارة)

ممتطياً حمارته، وسط بلدة كونين، قال أبو محمود محاذياً أصدقاء واقفين يتحدّثون بالسياسة، كالعادة إذا التقى هذا بذاك، أينما كان، في مضارب عبس وذبيان ـ لبنان، وغالباً بنوع من جدل بيزنطي، عديم المحصّلة: "أميركا وأوروبّا كلّها عَلى إجري"!، قال له حسين "أبو خليل عطوي" بحضور عبد علي مهنّا "أبو حسن" وآخرين: "إذا عَبَالكْ يا بُو محمودْ تِتْرِقْنَا خِطابْ، أحْسَنْ وْإنْتِ واقِفْ عالحْمَارَهْ، مِنْشان الصَّوت يوَدّيْ"!.

(أكبر جحش)

كان أجدادُنا ينقلونَ "القشّ"، من الحقول البعيدة ـ إلى البيادر القريبة من الضيعة ـ كونين، مثل القمح والشعير والعدس والذرة الحمراء والذرة البيضاء والحمّص والكرسنّة وما شابه من غلال كريمة، على الجِمال، والجمّالون، إلى سبعينات القرن الفائت، كانوا بالأغلب يأتون من بلداتٍ ساحليّةٍ لبنانيّة مثل "راس العين" و"البازورية"، ومن ثمّ تدريجيّاً بدأتْ هذه

الظاهرة تتقلّص أو تضمحلّ، مع ابتداء إنتشار المحرّكات. فكّرَ بعضٌ من "أهالي" بلدة "برعشيت" ـ المجاورة لكونين ـ بالبديل، بسبب من القدرة المعيشيّة، فاستخدموا الحميرَ عِوضاً، وكانوا يضعون "سيبةً" ـ سلّماً خشبياً مزدوجاً ـ على ظهرِ الحمار، يسمّونه "أوادم"، تُشدُّ إليه بنادك الغلّة، وانتقلتْ عدوى "الإختراعات" الى كونين، واستعاضَ عبد طعمة وجواد حمّود بالحمير للفلاحة، واستغنيا عن البقر، ويوماً قرّرَ خليل فوعاني "أبو إبراهيم" أن يزرع أرضَه "المْزَيرْعَهْ"، وهذا هو إسمها، كما لكلّ ناحية إسماً مثل "عرعرة" و"شرابش" و"خلّة الحمّص" و"المرج" و"البصّ" و"الشقيف الأحمر" و"جرن هدّار" و"المَنيَصَة" و"درب النَوَر" و"كاشف طِيزه".. إلخ، قمحاً، ولأنّه كان تعِباً صحيّاً، طلبَ من صديقه عبد طعمة أن يحرثَها له، فاستجاب، على عادةِ الأجيال الأقدم، بالترحاب، وبكلّ النخوة، وبدأ الحراثةَ المستحدَثَة، وأحدُ الحمارين كان كلّما "ينزل" ـ "يحيد" عن الثلم المقدَّر أن يخطّه، بسببٍ من طبيعةِ الأرضِ الصعبة، التي تحتملها الأبقار القويّة لا الحمير الهشّة، وكان عبد طعمة، رحمة الله عليه، يغضب، ويوجّه الشتائم للحمار المنحرف، ويقول له، مصوّباً مجراه، بكفٍّ قويّة على قفاه: "وَلَكْ أطلعْ فَوقْ "ك" "س" مرْتكْ، و"ك" "س" مَرَةْ أكبرْ جحش بالـ "كونـ"!.

(حِمارة السباق)

في خمسينات القرن العشرين، اقتنى قاسم طعمة حمارة لا حيل فيها، وقبل أن ينتهي مفعولها تماماً فكّر أن يأخذها إلى سوق الحمير في "سوق الخميس" ـ سوق بلدة بنت جبيل المجاورة، ويبيعها، وحطَّ أحدُ الأخوة النَوَر، الذين كانت خيامهم، ولقرون، تتردّد على قرى جنوب لبنان، وتخيّم، إلى يوم الحرب الأهليّة اللبنانيّة المشؤومة ـ 1975، عينَاه على الحمارة، اشتراها بتسع ليرات لبنانيّة، مع وعد أن يدبّر لقاسم طعمة، وبمعرفته الأكيدة، "حمارهْ ولا كلّ الحميرْ"، بالقوّة والحيويّة والسرعة، وبعد شهر، ولم يخلف الوعد، دفعَ قاسم طعمة ثمن الحمارة الجديدة 3 أضعاف قيمة الحمارة القديمة، أي 27 ليرة، عدّاً ونقداً، فيما النوري الداهية يزيّنها له بالكلام المنمّق، فهي: "حمارة سِبَاق"!، امتطاها قاسم طعمة، ركضت، "انْبَسَطْ" ـ إنسرّ، وشارفا كونين، وعندما وصلا الى مفرق أخذت الحمارة قراراً مستقلاً، بمفردها، اتّجهت يساراً، قال قاسم طعمة: "وباين عليها بْتِفهمْ"!، وعندما وصل الى البيت، وهو نزل عنها، مشتْ بمفردها أيضاً، وسط ذهول قاسم طعمة، طيّب الله ثراه، إلى حيث الإسطبل، وأخيراً وبفضل زوجته تأكّد، أنّها ليست سوى حمارته السابقة، وأنّه وقع ضحيّة مقلب، أو: "أكَلِ الْضَربْ"!.

ـ الورقة هذه تمّ تسجيلها قبل سنتين من إطّلاعي على مخطوطة للصديق د. عبد المجيد وهبي، يردُ فيها شبيهها، وفقط يختلف إسم البطل وإسم البلدة، حيث "فلان" عوض "قاسم طعمة" و"عيناثا" ـ الجنوبيّة اللبنانيّة ـ عوض "كونين"!.

(مقام النبيّ دانيال)

حدّثنا الآباءُ عن آبائهم عن أجدادهم أنّ نبيّ الله دانيال، أحد أنبياء التوراة، كان يمرّ بكونين، وحيث جلس أو استلقى ابتنوا مقاماً معروفاً اليوم بمقام النبي "دانيان" ـ دانيال، وكان عبارة عن "أوضه" ـ حجرة ـ غرفة، مليّسة في مرحلة متقدّمة، و"مطروشه" بجانب منها بالدهان الأزرق الباهت، تعلوها قبّة خضراء اللون، وفي المقام محمل فيه أقراص صلاة شبه مبريّة، وشبه "جزء عمّ"، مأكول من أطرافه ويكاد يتفتّت لقدمه، ومسبحة ذات خرز عادي جدّاً، والكلّ مغطّى بقماش قولوا مخملي مزركش بالأحمر والأصفر والأخضر.. وأكثر من عُرف بخدمة المقام، وإضاءته ليلاً، هي المرحومة الحاجّة خديجة بِشِر، ومرّات المرحومة الحاجّة فاطمة رسلان، وكانت الحاجّة خديجة "تشعّل النُّور" في المقام كلَّ ليلة، لأنّه، وكما اعتقد الأجداد، لا يجوز أن تمضي ليلة من دون إشعال النور في المقام، وقبل عصر الكاز، ثمّ الكهرباء، التي جاءت إلى الضيعة سنة 1968، كانت الحاجّة خديجة تملأ قنديلاً بالزيت الحلو، والزيت الحلو هو من "البُطن" ـ البُطم، كان باب المقام مهترئاً، تكثر فيه الثقوب والشقوق، ويُفتح بعد صلاة الفجر، ويُطفأ القنديل حفاظاً على ما يمكن أن يكون قد بقي من زيت قد يفيد بعد، ولكن انقضت أكثر من ليلة، وفي تلك السنة بالذات، كلّما تقصد الحاجّة خديجة المقام لتطفئ القنديل تجده ملقيّاً على الأرض وخالياً من الزيت، وأخيراً غضبت، وقالت مخاطبة صاحب المقام: "يا نبيّ الله، عندكْ حَدَا عَمْ بِسْرِق الْزيتْات، إنتِ أدرى بِظْرُوفْنَا، إذا كِنتْ حقيقيْ نَبِي عاقبِ الْحَرامي"!، واستُجيب، وفي صبيحة اليوم التالي رأت الحاجّة خديجة "الواوي" ـ ابن آوى، نافقاً، "خنقاً"، عند المدخل.

ـ ليس في ذاكرة أبناء كونين عجيبة لنبي الله دانيال غير هذه العجيبة، ولا تصدّقوا ما ورد في بعض كتب، تقول إنّ له "عجايب"، ولكنّي سجّلت له عجيبة ثانية "غير شِكِلْ" سترِد في قطعة مستقلّة.

ـ نشرتُ قصّةَ معجزة النبي "دانيان" ـ دانيال على صفحة التواصل الإجتماعي ـ "فايسبوك" وكيف "الواوي" ـ "ابن آوى" قتله النبي خنقاً، لاعتدائه على زيت المقام وذكرتُ أنّ النّبي ليس له معجزة غيرها، علماً أنّي سجّلت له ثانية، وهي حديثة. واحتجّ أصدقاء أنّه كانت للنبي "دانيان"، بالحقيقة، "أعاجيز" ـ معجزات، وسألتهم أن يذكروا لنا منها، فلم يفعلوا، ولكن يُلفت ما قاله السيّد حسين سرحان أنّ: "أكبر معجزات النبي دانيال هي أهل بلدتنا فهم

يحبّون بعضهم، ولذلك اختفت بينهم قطعة أرض تابعة للمقام، وكانت فيها دار، وأهالي الضيعة طالما ناموا فيها تبرّكاً أحياناً كثيرة. ليعلّق شقيقه مصطفى سرحان مضيفاً: "بالفعل، يا أخي، معجزة، وقد كان قبر جدّنا، سميّي المرحوم مصطفى عبّاس سرحان، في قطعة الأرض ذاتها، "شالوه" وأزالوا حتى إسمه عن لوحة حديثة وضعوا فيها أسماء من دُفنوا في أيّ مكان آخر إلاّ فيها"!.

ـ ونشرتُ قصّة مقام نبي الله دانيال في فايسبوك، بعد فترة أيضاً، وكان تفاعل أيضاً، استنتجت منه أنّ القصّة ـ المعجزة بحذافيرها موجودة في بلدة جويّا ـ الجنوبيّة اللبنانيّة غير البعيدة بالسيّارة كثيراً من كونين، والتي فيها مقام هو "مقام النبي صيّاح"، وكان ينيره، على ما ذكر الصديق أحمد جابر، نقلاً عن أمّه، رجل دين يدعى الشيخ مرزي شومان، الذي قال لصاحب المقام مرّة: "إحمِ حالك إذا كنت نبي".. إلخ.

(أبو كلاب)

"القصّاب" ـ اللحّام "زَعَل"، من بلدة بنت جبيل ـ جنوب لبنان، كان في ستينات القرن العشرين يقصد قرية "كونين" المجاورة لشراء المتوفّر من الغنم والماعز والبقر، ودخلَ مرّة بيت الحاج أسعد مصطفى "أبو ماجد"، لشراء بضع "غنمات" بِـ "150" ليرة لبنانيّة، لم يوافق أبو ماجد بأقلّ من "180" ليرة، وافق أخيراً زعل على "زغل" ـ أي على نيّة غير صافية، وبعد تمام الصفقة قال ناصحاً: "عِنْدِي زْبون أجنبي عَمْ يطلبْ بدُّه كلابْ، بعدْهُنْ عالحليبْ، وبْيِدْفَع مْلِيحْ"!، قصد أبو ماجد بلدات برعشيت، بيت ياحون، الطيري، حانين، عين إبل، رميش، بليدا وعيترون، وجمع أكثر من ثلاثين جرواً، كان يصرف على هذه الجراء لتغذيتها، إلى يوم آن أوان أخذِها إلى القصّاب زعل في سوق الخميس في بنت جبيل، ووقف في طريق الذهاب "ع الكرّوسه" ـ طريق السيّارات المعبّدة ـ محاذياً منزل علي محمّد أسعد أمين مسلماني "أبو حسين"، منتظراً "بُوسْطةْ بُوْ حيدرْ"، فيما "الجراوي" محشورة في صناديق، وتضجّ بالصعصعة، "وْحَدا بيقلّك صعْصعْةِ كْلابْ!"، قال له زعل، وقد التقيا، أنّ الزبون الأجنبي.. للأسف: "عَطاكْ عُمْرهْ" ـ مات!، وحطّ أبو ماجد في طريق العودة أمام بيت أبي حسين مجدّداً، سأله عن سرّه، فأخبره، موضحاً أنّ "زعل" قال له: "اشتري كْلابْ وْبِيْع كْلابْ، بِيْعَيْطُولَكْ بُو جَلاّبْ"! ـ أي هو كسّاب ـ جالب للخير الوفير، علِمَ أبو حسين أنّ "بلديّاته" ـ إبن بلدته ـ قد وقع ضحيّة مقلب من مقالب زعل الشهير بالمقالب، قال له مفتّحاً عينيه: "يا بُو ماجد المَثَلْ بِيْقُولْ: اشْتِرِي كْلاب وْبِيْعِ كْلابْ، بِيعيْطُولكْ أبو كْلابْ"!.

ـ نشرت قصّة "أبو كلاب" في فايسبوك، وكان تفاعل من الصديق الأستاذ الجامعي د. محمّد مسلم جمعة، وهو من بلدة بنت جبيل، قال: "رحم الله زعل، مرّة ذاته "أكل الضرب"، كان يقوم بدور المؤذّن في حسينية بنت جبيل، وكان يبكّر في نومه، وذات ليلة نهض فجأة، لم يكن يملك ساعة، فاستعجل إلى شرفة الحسينية ليؤذّن الفجر، وصادف مرورالمرحوم عبد الأمير عبد الله وصحبه راجعين من سهرة، ناداهم ليتأكّد، وسأل "قدّيش ـ كم ـ الساعة"؟، أجابه المرحوم عبد الأمير إيقاعاً به: "فيك تباشر يا حاج" وكانت الساعة حقّاً الثانية عشرة ليلاً". وكتب د. فوزي شعيتو من بلدة الطيري المجاورة: "صديقي العزيز شوقي، بعمر العشر سنوات حضرت جدالاً عنيفاً بين أحد الرعاة في بلدتي "الطيري" وقصّاب إسمه ابو علي قاسم من بلدة بنت جبيل على سعر خاروف، ولا يزال المشهد في مخيّلتي كيف كان البائع والشاري يندفعان باتجاه بعضيهما البعض ممسكين بالخاروف وكلّ منهما يقسم أنّه خسران، وللعلم فإنّ أحد أبناء أبو علي قاسم لا يزال الى اليوم يملك ملحمة عند مدخل بنت جبيل". وعلّق الأستاذ علي بيضون، وهو من بنت جبيل أيضاً: "كان زعل، رحمه الله، لطيفا جدّاً، ولقبه زعل كونه لم يعرف الزعل يوماً ومزاجه دائماً عامر بالفرح". وكتب الأستاذ حازم محسن وهو عراقي: "هذا القصّاب، ومن على شاكلته في العراق وسوريا والبلدان العربية الاخرى المنكوبة، لو كان حياً الآن ـ 2020 ـ لأصبح رئيس حكومة او رئيس جمهوريّة"!.

(أدّوما)

حدّثنا الصديق د. فوزي شعيتو، وهو من بلدة الطيري المجاورة لبلدة كونين ـ قضاء بنت جبيل ـ جنوب لبنان، التي منها الطبيب والسياسي المعروف والنائب الأسبق د. إبراهيم شعيتو، أنّ أحد أبناء بلدته اقترن في خمسينات القرن العشرين بكونينيّة إسمها كريمة، وللأسف، وبإختصار، كان تعامله معها قاسياً، ما اضطرّها للعودة إلى بيت أهلها باكية مراراً، وتدخّل "الأوادم" عسى وعلّ، حتى في حفل زواج إرتجل أحدُ أبناء الطيري دلعونيّة غامزاً من إبن بلدته، ومحذِّراً من إنتقام شقيق زوجته ـ آدم "أدّوما"، وقال: "عَ درْبِ الطيري ع درْبِ الطيري \ إفتحْ يا ظالمْ رِجْعِتْ "كَريمِي" \\ بيّا الشيخ حسنْ وإختا "نعيمِي" \ ورَحْ يفقعْ منّكْ خيّا أدُّوما"!، وذكّرنا، بالمناسبة، بالماضي الذي صار بعيداً، قائلاً: "هل تتذكّر سنة 1974 كيف كنّا فتياناً ندبك في الطيري، وتقدّم أحد أبناء القرية، وطلب أن ترتجل له دلعونيّة، إنتقاماً، تنال فيها من خطيبة سابقة له، والتي "شلحت المنديل"، وقبل أن تدور "الدبكة" دورتها، ما خاب ظنّه، وارتجلتَ، و"دلعنتَ": "قِلْتِلاّ بْحِبّكْ قالتْ بِيكَفّي \ وْرَفْضت تسَلِّم كّفّا بِكَفّي \\ كِفْتَى لَهَلّقْ تشْلحْتِي اللّفّي \ وْصِرتي ع الدبكهْ بِتْغمّزُونا"؟!.

(المطفحة)

إلى خمسينات القرن العشرين ظلّ أجدادنا، في قرية كونين، يحفرون حُفراً صغيرة يسمّون الواحدة منها "جوْره"، وكانوا عند طرف "الجوره" ينصبون حجراً، تسنّده عيدان بخبرة وفنّ، فتكون فخّاً لطير السمّن، ويُسمّون هذا الفخّ: "مطفحه" ـ والجمع: "مطافح"، ومرّة، كان عدد من أبناء القرية قد أعدّوا عند "جلالي المعصره" ـ من نواحي القرية ـ مطافح، ومنهم محمّد حسن الدبق ـ "المرحوم أبو عطف الله"، وصادفَ أنّ مسلم رسلان ـ المرحوم "أبو محمّد"، صاحب الكيد الطيّب، يريد أن يذهب إلى "المرحاض" أو "بيت الخلاء"، وكان "مزحوماً ـ بطنه فارطة ومدوّدة"، وضربَ عصفورين بحجر واحد: تخلّص من كربته وأرفقها بمكيدته، في مطفحة بعينها ـ أفرغَ حمولةَ بطنه، غطّى الحفرة بالحجر، وانتصبَ بسرعة، وصاحَ بأعلى صوته: "عِلِقْ" ـ أي أنّ سمّناً في هذه المطفحة، سمع الصِياح محمّد حسن، ركض إلى مطفحتِه التي يقف عندها مسلم، وطلبَ منه التنحّي، فهو، وليس أحد غيره، وبخبرته، سيُدخل يدَه تحت الحجر، وسيمسك بالسمّن، وخطفاً، وهو يرفع الحجر، دسّ يده إلى الحفرة، قابضاً على ما أثارَ غيظَه، وقلبَ معدتَه، وجعله يتقيّأ، وفي مساء اليوم ذاته، وفيما الدبكة عامرة وسط الضيعة، قال محمّد عبدالله دلعونيّة فيها "إشارات"، فهمها محمّد حسن: "خاري بتْيابو ومْمَرْمغْ حالُو \ وْبدّو يفزّعنا بِكثْرِ رْجالو \\ وينوْ "بُوْ كِرعانِهْ" مْضيّع جْلالُو \\ عَ شِكْلو بدْنا 12 مليونا"، وردّ محمّد حسن: "ما زالْ الِحْكايهْ يا محمّدْ هيكِهْ \ جبْنا الْكرْعانِهْ منْ دِسْتِ الْبيكِهْ \\ قِلّي الحكايِه على السكّيتِهْ \ يا نحنا بْنغلبْ يا بْتِغلْبونا"!.

ـ ملاحظة: "الكرعانة" و"أبو كرعانة" و"الدست" و"البيكه" و"دست البيكه" فلغة يطول شرحها، وأكتفي بالتسجيل.

(ليرة عصْملّي)

تزوّج أحمد بلّوط مطالع سبعينات القرن العشرين، وشهدتْ بلدة كونين عرساً "طنّاناً"، وشقيقُ العريس، "الأسنّ"، واسمه محمود، كان "يمسك بالدبكه" ـ يحافظ على تناغمها، تضمّ الشباب والصبايا، والكبار من ذوي الخبرة، سواسية، بالحركة وضربة القدم، ممسكاً "قضيب رمّان"، يشير به صوب "المقصِّر" أو "المقصِّرة"، من الجيل الجديد، لينتظم أو تنتظم، وكان نجيب الدبق في ذلك الوقت "أوّلْ طلعْتُه" ـ شابّاً، يشوّش بحضوره على الدبّيكة، يميل فوضويّاً يميناً وشمالاً، اقترب منه محمود وسأله أن يترك الحلقة، امتثل، مقرّاً بفوضويّته، ومبتسماً، وهذا إذا دلّ فإنّما يدلّ على لطف وسعة صدور الأجيال الأقدم، وفيما الدبكة عامرة، على مجوز "أبو سعيد فوعاني" بفنّه العالي، والذي كان فلاّحاً، وحلاّقاً، ومحيي معظم أفراح الضيعة، رأى طلال طعمة، و"صوته حلو"، صديقَه حسين خليل حيدر لا يُشارك في الدبكة، ويستند واهناً إلى جدار، وبيده سيجارة، فارتجل دلعونيّة: "شُو إشبَكْ

واقفْ يا حْسينْ خليلِي \ اللي متلكْ والله متعشَّى بْليلِي \\ إنتِ بْيلزَمَكْ تشربْ أركيلِي \ وْأنا بْيلزَمْني غنّي دلعونا"!، ومن الدلعونيّات التي غنّاها طلال في ذلك العرس الذي استمرّ سبعة أيّام: "بتْروحِي رُوحي، بتْضلّي ضلّي \ بدِّك بْراسِكْ تطْلع الفلّي \\ أخدتِ حقّكْ ليرهْ عصملّي \ وإنتِ ما بتسوي حصّين زيتونا".

(300 حصان أبلق)

كانت جدّتي لأبي، منيرة مرعي سرحان بلّوط مسلماني، الحاجّة "أمّ حسين"، تحفظ بعض القرآن وأدعيةً، وتلقّن الميّتةَ "الشهادة"، ولا تجيد، في آن، لا القراءة ولا الكتابة، مثل غالبيّة أترابها في كونين ـ جنوب لبنان، إلى ستينات وسبعينات القرن العشرين، وكانت أيضاً "أرستقراطيّة"، مظهراً وسلوكاً، مثل أن تحمل شمسيّة، اتّقاء الشمس القويّة في فصل الصيف، وأصل الغرابة في هذا المشهد غير المعهود، أنّها في قرية فلاّحيّة غارقة إلى الركب في الفلاحة، مثل أغلب قرى وبلدات جبل عامل، وزوجُها ـ جدّي، علي محمّد أسعد أمين رزق شلالا مسلماني، "أبو حسين"، كان راعي غنم، قبل أن ينقلب إلى عازف مجوز "يعمِّر" أفراح أبناء القرية والقرى المجاورة لقاء ليرات معدودات لا تغني ولا تسمن، وقبل أن ينقلب إلى بائع سمك في العاصمة بيروت، وقبل أن يبتني بيتاً من الحجر بقناطر تعرّض للأذى، جرّاء القصف الإسرائيلي، وجرى الترميم على نحو ليس فيه حِرفة، وكان بحقّ، كما طالما ردّد البعض ومنهم ابراهيم محمّد علي حيدر، من أجمل بيوت الضيعة، وكانت جدّتي تهوى الحديث بعجائب وغرائب المستقبل، كإنتشار إطار ـ دولاب ـ يلفُّ العالمَ، وذلك قبل رؤية أبناء كونين "للأُتُنْبِيلْ" ـ للعربيّة ـ للسيّارة، وكانت إذا رأتني صغيراً، وبين يديّ ورقة مقطوعة من دفتر صغير تشجّعني، وتقول: "إكنز عِلِمْ يا ستّي"!، ما يكرّره بعض الأقارب، ذاكرينها في مجالسهم، مقدّرين تعبيرها السالف تقديراً عالياً، وأمّا أغرب ما كانت تقوله، إذا ما أحرجها كونيني: "طُلِعْ مِنْ كونين ـ خرجَ من كونين ـ 300 حصانْ أَبلقْ ـ والبَلَق: سواد وبياض في الدواب، كإشارة للعزّ والتفاخر والإصرار والجديّة ـ ليْقاتْلوا النبي ـ الرسول"، المبعوث بالرحمة، فكيف حالها هي معهم وهي ليست أكثر من إنسانة عاديّة؟!.

(كنيسةُ عين إبل)

كانت سيّارات قليلة في جنوب لبنان ـ خمسينات القرن العشرين، وكان الإنتقال من قرية إلى ثانية غالباً سيراً على الأقدام، أو ركوباً على الدواب التي أشهرها وأيسرها: الحمير، وأقلّها البغال والخيل، والأندر: الجمال، وكان يوماً المرحوم الشيخ عبد الحسن حمّود ـ والمشيخة له لسعة معرفته الدينيّة، ضيفاً عند "عيثا الشعب" ـ البلدة الحدوديّة مع فلسطين

المحتلّة، وفي طريق العودة، سيراً، مرّ ببلدة عين إبل المسيحيّة المارونيّة المجاورة لبلدة كونين المسلمة الشيعيّة، وكانت الشمس ناعمة، ومائلة صوب الغروب، وأن تميل صوب الغروب يعني موعد صلاة المغرب، وبالصدفة، وهو في فناء الكنيسة، توضّأ، واتّجه صوب القبلة، كما يجب إذا صلّى، وهو في مكانه، واكتفى من رآه، من أهل عين إبل، بالنظر، حتى إذا انتهى، سألوه، بعدما سألوا الله أن يتقبّل منه، إذا جائز أن يصلّي، وهو المسلم، في حرم مسيحي؟، قال أنّ الجامع والكنيسة بيتان لإله واحد، وأنّ المؤمنين جميعاً، مسلمين ومسيحيين، أخوة، وأحبَّ أهل عين إبل ما سمعوا منه، وصادقوه كثيراً بعد هذا اليوم، وكان، رحمه الله، في مرّة، بصراع مع مخلّفات العثمانيين، الذين يظلّون بعدُ في أوطان مثل لبنان، حول أرض له، ولم يجد مُعيناً، في زمن السلطة الفاسدة تلك أيضاً، إلاّ أن يُعلن عن نيّته، أن يقصد كنيسة عين إبل، ويقرع ناقوسها، وسينصره السيّد على الإقطاع واللّصوص، ولن يخيب ظنّه.

(خوري كونين)

التقيتُ الأستاذ علي عبد الأمير بيضون، المدير الأسبق لثانويّة بلدة بنت جبيل ـ الجنوبيّة اللبنانيّة ـ الرسميّة، خلال زيارته إلى سيدني، فاجأني، حين سألني، وهو الذي كان قد قرأ كتاب "كونين ـ لطائف وطرائف"، إذا لي معرفة بمسيحيّين، كانوا من سكّان كونين، التي هي اليوم، كما هو معروف، كلّها مسلمة ـ شيعيّة؟، وتابع أنّه سبق وتحادث مع مدير ثانويّة رميش الرسميّة الأسبق أيضاً، وهو الأستاذ جورج شوفاني، ومنه علِم أنّهم، في رميش ـ بلدة مسيحيّة ـ قضاء بنت جبيل، عثروا على وثيقة ترجع بالتاريخ إلى القرن السابع عشر، في غرفة "الأنطش"، وهي ملاصقة عادةً للكنيسة، متواضعة، يسكنها خوري الرعيّة، تفيد، وردّاً على طلب من "الرميشيّين" ـ أهالي رميش، أنّ كونين سترسل إليهم الخوري، وهو من آل عون، قلتُ للأستاذ علي بإهتمام، ومستعيداً الذاكرة، أنّي مرّة، قرأت في وثيقة رسميّة أسماء عائلات كونينيّة منقرضة، ومنها زين وسعادة وعون، وكان آل الزين، بالمناسبة، كما أوردتُ في كتاب "كونين لطائف وطرائف"، عصب كونين، وقال الأستاذ علي: "وليس بعيداً أن تكون أغلب عائلات كونين الآن من أصول مسيحيّة"، وذكر أسماء عائلات: مهنّا، سلامة، عسيلي، فوعاني، وبرهانه أنّها عائلات تتوزّع في المنطقة بين المسيحيين والمسلمين ـ أي مختلطة ـ مشتركة، وفي اليوم التالي نقلتُ المعلومة إلى عمّي، عازف المجوز، الذي كان شهيراً في سيدني، هو المرحوم كامل علي مسلماني "أبو محمّد"، الذي اشترطتْ الصديقة فيروز فارس، وهي من قرية القليعة، المسيحيّة الجنوبيّة اللبنانيّة، على عريسها، قبل أكثر من عقدين، للزواج منه، أن يحيي عرسها مجوز "أبو

محمّد" الكونيني، لم يؤكّد ولم ينف، ولكن قال، وهو يضيف قهوة إلى فنجان قهوتي: "كلْ شي، يا إبنْ خييّ، معقولْ، والدنيا شَبَكِهْ".

(موسى الشيخ)

عُرِف المرحوم الحاج موسى حمّود، "أبو ناصيف"، بإسم موسى الشيخ، وكان وسيماً، أزرق العينين، أبيض البشرة، وفي أواخر الثلاثينات من القرن الفائت، أي قبل قيام كيان للصهاينة في فلسطين المحتلّة، إنتحل إسم "إسرائيل"، كان يافعاً، يتردّد على فلسطين، يومَها كانت محتلّة من الإنكليز، طلباً للعمل، مثل الكثيرين من أبناء جيله، وعرض عليه أحد الجنود الإنكليز، في مرّة، ولغاية في نفس يعقوب، أن يصوّره مرتدياً "شورت" ـ بنطالاً قصيراً، وربّما ليُظهر كم يشبه أبناء الإنكليز، ويأخذ بالمقابل ليرة فلسطينيّة، أجراً، وكانت الليرة الفلسطينيّة تساوي "10 ليرات لبنانيّة"، وهذا مبلغ كبير، كان العرض مغرياً، وعلى الرّغم، أجاب بالرفض، وسألتُ محدّثي عن سبب ذلك؟، قال أن البنطال القصير، أو ما يُسمّى "شورت"، كان في حينه عيباً، ويا حيف على كونيني، عاملي، جنوبي لبناني، عربي، أن يرتكب العيب.

(غرام في يافا)

سعيد "أبو محمود"، قصد سنةَ 1935، مثل غيره من أبناء كونين وقرى كثيرة في جبل عامل، فلسطين المحتلّة من الإنكليز، للعمل، وفيها احتكّ بالإنكليز، ومنهم تعلّم الإنكليزيّة. والتقى في يافا قريباً له، يجايله عمراً، إسمه أحمد، وبعد "صحوبية" ـ أي بعد صداقة يوميّة ـ قصده أحمد طالباً مساعدة، أخبره أنّه مغرم بفتاة شقراء، إنكليزيّة، تعمل نادلة في مطعم تُقام فيه سهرات وحفلات، وطلب أن يكلّمها بما تيسّر من معرفته باللّغة، وأن يعلمَها أنّه يحبّها، تمنّع بدءاً، ولكنّه مع اقتراب الموعد المحدّد لم يتردّد، إنّما ليس قبل أن "يتشيّك"، مثل أن يحلق ذقنه ويصفّف شعره وشاربيه، ويرتدي ثياباً غاية في الأناقة، ودخلا المطعم، وطلبا طعاماً، وأعينهما لا تغادر النادلة الصبّوحة، وأخيراً، حانت فرصة، استوقفها سعيد وقال لها: "آي لايكْ تُو سْبيكْ وِذْ يُو"، (أريد أن أكلّمك)، قالت: "وَتْ دُو يُو وُنْت؟"، (ماذا تريد؟)، قال، وهو يشير إلى قريبه: "ذِيسْ إزْ ماي كازِنْ، أَنْد هِيْ لايْكْ يُو"، (هذا إبن عمّي، وهو يهواكِ)، تأملتْ بسعيد وبأحمد، رأت أنّ محدّثها أنسب، قالت: "آي دُونْتْ لايكْ يُورْ كازنْ، آيْ لايكْ يُو"، (لا أهوى ابن عمّك، بل أهواك أنت)، وفهم أحمد، وأحنى رأسه، وهما يخرجان من المطعم نظر إلى قريبه وقال له بانكسار بيّن، وعتاب غير هيّن: "مَكنْشْ لازمْ ـ لم يكن واجباً ـ يا إبن عمّي.. تتْشيّكْ هلْقّد ـ تتأنّق إلى هذه الدرجة"!.

(مقالب مضادّة)

قال "اسماعين" ـ إسماعيل ـ سلامة لأبي فوزي ـ حسين عبدالله طعمة، وكانا، في الستينات من القرن العشرين، في عزّ الشباب، وهما في سوق سمك بيروت: "ممْنُونَكْ"، لأنّه زوّده ببضع كيلوغرامات من "الجرْبِيدهْ" ـ سمك، "لَيِشتِغِلْ" ـ لكي يعمل ويكسب ـ "كمْ قِرشْ" ـ بضعة قروش، وأضاف، قاطعاً على نفسه عهداً: "وْبسْ تطْلعْ يا بُو فوزي عالضيعهْ ـ كونين، رَحْ دبّرلكْ سلّةْ تين وعنبْ مُعتبَرِينْ"!، وكالعادة، كما في باكر صباح كلّ يوم أحد، ينطلق أبو فوزي بسيّارته، التي كانت أوّل سيّارة يقتنيها كونيني، من بيروت، باتّجاه الجنوب، ويقصد فور وصوله، بعد قيادة ساعتين تقريباً، بيتَ اسماعيل سلامة، "الممنون"، لكي يعلمه بمجيئه، وقصدَ اسماعيل من فوره بيت "أبي سميح"، قاسم طعمة، وقال له: "جبتلّكْ يا بُوْ سميح زْبون بيروتي مِدْهِنْ، بْيدفعْ مَصاري، بَدّو سلّةْ تِين وْعنبْ تْكون نْظِيفِهْ"!، كانوا في الزمن ذاك يُطلقون على الكونيني الذي يعمل في بيروت إسم "البيروتي"، ورجع إسماعيل "عصريّه" ـ عصر اليوم ذاته إلى أبي سميح، كان اسماعيل راكباً في السيّارة بجانب أبي فوزي، نادى بأعلى صوته: "يا بُو سميحْ، وَينْ سلّةْ هالتينْ والعنبْ"؟، وخرجَ أبو سميح من بيته حاملاً السلّة، مقترباً من السيّارة، وقال لأبي فوزي، كأنّه يعرف الخفايا: "اعْطينا ثمن السلِّهْ بالأوّل"!، قال أبو فوزي واثقاً: "شُوْ بدْنا نُهْربْ، حطّها بالطبُّونايهْ ـ صندوق السيّارة، وْتعا خودْ حقها"!، فتحَ "الطبُّونايةَ"، وضعَ السلّة، وما أن أغلق عليها حتى انطلقت السيّارة، هاربة من دفعِ الثمن، وفي صبيحةِ يومِ الأحد التالي رجعَ أبو فوزي من بيروت إلى كونين، وعملَ، هو وإسماعيل، السالفة ذاتها، ولكنّ الضحيّة كان هذه المرّة جميل سرور، الذي كان له كرم تين وعنب قريب من "الكرّوسة" ـ طريق السيّارات المعبّدة، ويفصله عن "الكرّوسهْ" مرتفع ترابي، أخذ اسماعيل السلّة من يد جميل سرور الممدودة، ووضعها في السيّارة، وقال له أنّ أبا فوزي الآن "ما معه فْراطهْ، بَسْ بالمشوار الجايي بْيعطيكْ"!، وانطلقا يقصدان بيروت، وجميل سرور ينظر، ولا يعرف ماذا يجب أن يفعل؟، وفيما هما عند مدينة صور، التي تبعد حوالي 45 كلم، سأل اسماعيل صديقَه أبا فوزي أن يقرضه 50 ليرة، أي ما يساوي تقريباً 25 دولاراً أميركيّاً، لكي يشتري ويبيع سمكاً، فأعطاه أبو فوزي، ولكن على حذر لم ينفع، لمح اسماعيل بوسطة "أبو حيدر" الشهيرة في ما مضى، وتعمل على خطّ الجنوب ـ بيروت، مقبلة بالإتّجاه المعاكس، طلب من أبي فوزي أن يعمل معروفاً ويوقف السيّارة "شْوَيْ، على جَنب الطريقْ"، نزل اسماعيل من السيّارة، أشار بسرعة للبوسطة أن تقف، ارتاب أبو فوزي، قال يائساً: "وينكْ رايحْ، أخذتِ الْخمسين"!، أجاب اسماعيل، وهو يركض صوب البوسطة التي توقّفت، وستعيده إلى كونين: "حلْ عنّي، طعميتكْ أحسنْ سلتينْ تينْ وعنبْ بالعالم"!، وإذا جميل سرور نسي "الضرب" ـ المقلب، من أبي فوزي "الميسور"، فإن قاسم طعمة لم ينس، كانت

له كلبة لها جراء، استغلّ غيابها، سرق من جِرائها وجعل ما سرق في سلةٍ غطّاها بـ "كدْسة" من ورق التين والعنب، وفجراً "نِزِلْ عالخَط" ـ الشارع العام، إنتظر بوسطة "أبو حيدر" التي توقّفت حين أشار لها، أعطى السلّةَ، مع ليرة أجرة، للسائق، وسأله أن يسلّمَها لشخصٍ في سوق سمك بيروت يدعى حسين عبدالله طعمة "أبو فوزي"، له بسطة سمك عند أوّل سوق السمك، قريباً من درج خان البيض، وأكّد له أنّ أبا فوزي ذاته سيعطيه أيضاً "أجره" ليرة، وأعطى أبو حيدر السلةَ، حين وصل إلى بيروت، بعد 135 كلم، لشخصٍ يعرفه، وسأله أن يوصلها لصاحبها، ويأخذ لنفسه ليرة أجراً، كان "كاراج" ـ موقف ـ مرآب ـ خط بيروت ـ بنت جبيل غير بعيد من السوق، وصل الشخص الى الدرج المطلِّ، لمحه أبو فوزي المهووس بالتين والعنب، وقال لذاته: "أللّه يعلمْ لمينْ سلة هـ التينْ والعنبْ اللي بإيدُهْ"؟، وظلّ يراقب حامل السلّة حتى اقترب منه شخصيّاً، وسأله عن أبي فوزي؟، قال متفائلاً: "أنا أبو فوزي"، قال: "هالسلةْ إلَكْ، اعطيني ليرةْ أجاري" ـ أعطاه "مبسوطاً" ـ منشرحاً، ظانّاً أنّها حقّاً تمتلئ بالتين والعنب، من صديقه "اللدود" اسماعيل، وخشية أن يرى السلّة أحد من أبناء كونين، وكانوا معظم السوق، فيدعو نفسه إليها، ويلتهم منها ما يقدر عليه، جعلها تحت "البسطة" ـ طاولة السمك، وسنحت له فرصة: "وَطَّى ظَهْرهْ، مدّ إيدهْ"، وجد السلّة تمتلئ ورق تينٍ وعنب، حتى إذا بلغ قعرَ السلّة سمع "صعصعة" ـ عواء، ثمّ عضَّه جروٌ، وصادف مرور سيّدة، ترتدي تنّورة قصيرة، بجوار بسطة أبي فوزي، ظنّته، وهو تحت الطاولة، يعاكسها، "بَهْدَلْتْهُ"، وبعد أسبوع "نزل" إسماعيل سلامة من كونين الى بيروت، وقصد سوقَ السمك، لمحه أبو فوزي قادماً، علم بالبديهة أنّه يريد أن يشتري منه سمكاً، ليبيعه ويسترزق، وبادر وسحب من تحت الطاولة، وبسرعة مدهشة، فرْش سمك "تعبانْ" ـ مهترئ، "وَجَّهَهُ" بسمك "نظيف"، وسلّم اسماعيل عليه، وسأله، ولا على باله أنّ أبا فوزي لا يزال يذكر مقلب الخمسين ليرة: "شُو عِنْدَكْ سمَكْ يا بُو فوزي؟، بدْنا نِشتغلْ ونسترزق"، قال أبو فوزي، مشيراً إلى القليل فوق الطاولة: "هَيْدا ـ هذا ـ الموجود"!، قال له اسماعيل: "بدّي أكثر"، قال أبو فوزي مصطنعاً الثقة: "عندي، تحت الطاولهْ، فرْشْ أخيرْ بـ 50 ليرهْ"، اشتراه اسماعيل، ودفع الثمن عدّاً ونقداً، سحبه، قاصداً أن يبسّط به غير بعيد، وفي آن أسرع أبو فوزي يجمع "أغراضه" ـ يريد أن يهرب، جاء زبون إلى اسماعيل، انكشف السمك المضروب، قال له أبو فوزي، وهو يمضي مبتعداً، واسماعيل ذاته يحملق متفاجئاً من هذا "الضرب" السريع: "صرْنا صلحْ، اسْترْجعْنا الْخمسينْ"!.

(شيخُ العرب)

محمد حسن عناني "أبو حسن" ومحمود عبدالله عناني "أبو عبدالله" كانا يقطنان في غرفةٍ واحدة، في "حي أمُّوريه" ـ قمّوريّة ـ "زقاق البلاط" ـ بيروت، و"أمّوريّه ـ قمّوريّة" إسم عائلة بيروتيّة شهيرة، منها أسرة الكاتب والصحافي والمناضل المعروف "أمين قمّوريّة"، وكانا "مهاجرين" من بلدة كونين إلى بيروت للعمل في سوق السمك منذ الستينات، ومعاً كانا مغرَمين بسباقِ الخيل، أو "بالدارج" ـ بالعاميّة: "كانوا سبقجيّه"، وكانت "الجرايد" ـ الجرائد ـ الصحف ـ في ستينات القرن الفائت تنشر عن "سبق الخيل" ـ سباق الخيل، عن أسماء الخيول الرابحة، وفي مساء يوم جاء أبو حسن بجريدة ليقرأ عن الخيول الجيّدة، ولكي يُراهِنَ على أحدها، واحتار بالإختيار، فما كان منه إلاّ أن وضع الجريدة تحت رأسه، وهو يتمنّى أن يرى فى منامه أيّ الأحصنة سيربح، وأعلمَ بالأمر صديقَه أبا عبدالله، الذي كان مستلقياً بجانبه، وغطّ في سبات عميق ضاجّاً بالشخير، سحب أبو عبدالله الجريدة من تحت رأس زميله، وخطّ بقلم رصاص إسم حصان هو "شيخ العرب"، وتدبّر في أمر إرجاعها إلى مكانها، وصباحاً استيقظ أبو حسن، تناول فطوره، شرب الشاي مع أبي عبدالله، وأمسك الجريدة، فإذا عليها مكتوب إسم الحصان الرابح، تعجّب أشدّ العجب، قال له أبو عبدالله بتأكيد: "شَخْطِة الْقَلَمْ أكيدْ من عَمَلْ جبرائيل"!، راهن أبو حسن على الحصان ـ شيخ العرب، فخذله، سأله أبو عبدالله عندما رآه مساءً عن النتيجة: "شُو عملتْ يا بُو حسن، انشالله ربِحِتْ"؟، أجاب: "لا ولله، اسْتقرَضْنا مصاري وخْسِرنا، شُو بدْنا نعملْ"؟!، قال له أبو عبدالله: "فإذنْ هَيْدَاْ مشْ جبرائيل اللي علَّمْلَكْ عالحصانْ، هَيْدَا بِيْكُون بليسْ"!، وقال أبو حسن غاضباً، وقد فهم متأخِّراً: "اذا اللي علّمِلِيْ بليس، أكيدْ بِيكُونْ إِنْت"!.

(حذاءُ العيد)

قبل عيد الفطر بأيّام، وكانت الأسرة جميعاً قد انتقلت، بسبب سوء الحال، من كونين الجنوبيّة إلى بيروت، مقصد المهاجرين من كلّ أطراف لبنان "المحرومة"، منذ خمسينات القرن الفائت، وفي سنة 1970 أخذ شاهر علي مسلماني "أبو شوقي" إبنه البكر شوقي ـ 13 سنة ـ إلى سوق الأرمن، وسط بيروت القديمة، لشراء "صبّاط" ـ حذاء ـ جديد، للعيد، وبعد تعيين الحذاء المطلوب قال صاحبُ المحلّ، كأنّه يتساهل في السعر: "إسْتفتاحهْ، بإعتبارك أوّل زبون، اعطيني 13 ليرهْ بس"، وسأله أبو شوقي أن يخفّض السعر، قال: "11 ليرهْ مشْ أقلّ"، حثّه أن يخفّض السعر حقّاً، قال بعد إرتباك: "أقلْ من 11 ليرة ما بتْوَفّي"!، قال: "3 ليراتْ أو بِمْشِي"؟!، قال متفاجئاً: "هيدا صبّاط صُنع في إيطاليا"!، قال بلا تردّد: "صُنِع في بنت جبيل" ـ مركز القضاء، والبلدة القريبة من كونين، في الشريط الحدودي مع فلسطين المحتلّة، واشتهرت في ذلك العصر والأوان بصناعة الأحذية الجيّدة ـ

"بدّكْ 3 ليراتْ أو بمْشي"؟، وكان الحذاء من صناعة بنت جبيل بالفعل، وفرحَ شوقي بصبّاط العيد، وكان لونه، بالعلامة، أحمر!.

ـ سبق ونشرت قصّة حذاء العيد على صفحتي في فايسبوك، سنة 2020، وكان تعقيب من الأستاذ محمّد نعمة، أنقله: "عاينت ذات مرّة سجّادة كانت على كتف بائع جوّال، من قرية ميس الجنوبيّة، فطلب 250 ألف ليرة ثمناً لها ـ إلى هذه الدرجة هبط سعر أو قيمة العملة اللبنانيّة بسبب الحروب وسوء الإدارة والفساد، حيث هذا المبلغ كان كفيلاً بشراء لا أقلّ من 15 شقّة سكنيّة ـ ستينات وسبعينات القرن الفائت ـ ولمّا كنتُ ممّن لا يجيدون المفاصلة بالسعر، والمبلغ المطلوب غير متوفِّر، استدرتُ، لأتابع سيري، لكنّه عاجلني بالسؤال: "يعني قدّيش إنت حاطط سعر"؟، أومأتُ برأسي سلباً، قائلا في سرّي: "يعني قدّيش بدّو ينزّل؟ 20 أو 40 ألف؟، ـ أي ما مقداره 10 أو 20 دولاراً تقريباً ـ رح تبقى غاليه"، وفي هذه اللحظة تقدّمت زوجة جارنا، عاينتِ السجّادة والسعر، و"بعد شويّةْ مجادله"، دفعتْ له 50 ألف ليرة، أي بمئتي ألف ليرة أقلّ، وحملها لها الى المنزل، ويومها، أحد لا يعلم مقدار تضاؤل قدرتي، وشعوري بالخيبة، ولم أقصّ هذه الحادثة على أحد، إلى الآن، منعاً للإحراج"!.

(أبو نوّاس كونيني)

كنتُ ضيفاً على عمّي "أبي محمّد" ـ كامل علي مسلماني ـ في مدينة سيدني. رشفَ من فنجان قهوته رشفةً وقال، وهو يحدّثني بفرح عن أبناء بلدتي كونين "البيارته"، أي الذين كانوا "مهاجرين" إلى بيروت، عاملين في سوق سمكها القديم، وكان عامراً خمسينات وستينات وسبعينات القرن العشرين، وحتى شكّلوا أغلب تجّار السمك الكبار والصغار فيه: "بسوق السمك عِمْلوا مَصَاري" ـ ربحوا الكثير من المال ـ "بسْ عِمْلوا القمارْ شغلتْهن التانيهْ.. كانوا يرْبَحُوا بالسمكْ وْيخْسَرُوا بالقْمارْ"!، وأضاف، وهو يبتسم إبتسامته الذكيّة، وكأنّما "النكتة" قد "حبكت": "وْعلى رأي أبو النوّاس: خيرُ ذا بشرِّ ذا \ فإذا اللهُ قد عفا"!.

(ثعلب ودجاجة)

وفي سنة 1976 أي في "عزّ دين" الحرب الأهليّة، التى عصفت بلبنان وعاصمته بيروت، وقعت منطقة "النبعة" ـ ناحية في "بيروت الشرقيّة" ـ بقبضة المسلّحين اليمينيّين، وتهجّر الناس منها، وكلّ واحد من أبنائها رجع إلى قريته، شمالاً وجنوباً، مختاراً أي شغلة ليعتاش، وفي كونين اجتمع من كان في النبعة وتلّ الزعتر ومناطق مختلفة من بيروت الغربيّة

"اليساريّة"، بسبب الحرب المتنقّلة، وبهم، وبالكونيين المقيمين، غصّت الضيعة بالناس، واتّفق طعمة طعمة ومحمد علي مسلماني "أبو سامي" على إبتناء كوخ عند "تلّ البركة الكبيرة"، وهي من أكبر برك المنطقة على الإطلاق، وتعود في القدم إلى ما قبل عصر الرومان، يقدّمان للزبائن مشروبات غازيّة و"غير غازيّة" وترمس و"ورق شدّة" ـ تسليةً غالباً، ومقامرةً أحياناً. و"مِشِي الْحالْ"، وبعد فترة وجيزة نشب خلاف بين الشريكين، أدّى الى إنفصال "الشراكة"، واستقلّ أبو سامي وابتنى كوخاً عند الجهة المقابلة من البركة، وكان أكثر إبداعاً من طعمة، قدّم للزبائن أيضاً الفول السخن حَبّاً و"بَلِيْلَة"، و"مِشِي الْحالْ"، وشعرَ طعمة بالغيظ من نجاح شريكه السابق، وعند الساعة 12 ليلاً، أي بعدما أقفل أبو سامي كوخه وذهب الى بيته طالباً الراحة والنوم، أوعز الى محمّد قاسم فوعاني وابن عمّه شفيق فوعاني أن يتدبّرا ويرفعا كوخ أبي سامي، مسنَّداً على الكراسي المتواجدة أصلاً في داخله، وحقّاً، وفعلاً، عملا ما طُلِب منهما، وفي الصباح جاء أبو سامي لمزاولة العمل، تفاجأ بكوخه يرتفع على الكراسي، لم يمرّ هذا الحادث من دون دلعونيّات، من وحي المناسبة، في الدبكة التي "هبرجتْ" عصر اليوم التالي، وكم كانت "تهبرج"، في تلك الأيّام، على رغم الحرب، بمناسبة وغير مناسبة، لمجرّد أن تظهر منجيرة أو طبلة، ويتذكّر من هذه الدلعونيّات أصدقاء، وفي الطليعة الشاويش ابراهيم فوعاني، وصديق الغربة عفيف مصطفى، وإبن عمّي الفنّان محمّد كامل مسلماني: "عِمِلْ بُوْ سَامي معْ طُعْمِه شِرْكِيْ \ واتّفْقُوا تَ يِبْنُوا قَهْوِه عَ الْبِركي \\ وْمِنْ أوّلْ ليلِهْ عَرْكِتِ الْعَرْكِي \ ثعلبْ وِدْجاجِهْ ما بيِتّفْقُونا". "لَعِنِدْ طعْمِه الْشَبَابْ بِتْعدّي \ عَ أَكْلِ الْترْمسْ عَ لِعْبِ الْشَدّي \\ ومْسَبّي عَ مْسَبّي قدِّ المْهَدّي \ بَيَّكْ عَ إمَّكْ يَ ابْنِ الْمَلْعُونا". "نَوَى بُو سامِي يِعْمَلْ لَحَالُو \ وْنِزِلْ عَ شِغْلُو ومْفَضّي بالُو \\ إلاّ بِ طعْمِه مْحَرّك رْجَالُو \ وْخَرَّبْلُو كُوخُو وتْجَاهَلُونا". "نِزِلْ بُو سامي جاهِلْ وْناسِي \ وإلاّ بِ كُوخُهْ عَلَى الْكَرَاسِي! \\ صَرَّخْ وْعَيَّطْ آخْ يا راسِي \ وْسَبْسَب وْشَقّع للفَاعِلُونا"!.

(فوعانيّات)

أقول الحقَّ إنّه من دون "بلديّاتي"، وصديق الشباب، إبراهيم خليل فوعاني، "الشاويش"، أو "المختار"، وكلاهما من ألقابه المستحدثة، استحال أن يكون هذا الكتاب "الحياة حكايات" كجزء ثاني للسابق "كونين ـ لطائف وطرائف"، وسألتُه مرّة أن يقصَّ عليّ من بعضِ حياته، أو ممّا في "جعبة" ذاكرته، وهنا أيضاً غيض، وكما يُقال، من فيض:

1 ـ اضحكي يا زهرة

"كنّا، سنةَ 1976، شباباً صغاراً، مجتمعين قريباً من منزل الحاج عبد الكريم بلّوط، واذْ بإبنة خديجة محسن، وإسمها زهرة، وأيضاً معروفة بردّات فعلها المتوتّرة، تطلّ علينا عابرة، قال لنا محمّد قاسم فوعاني: "رح تْشوفوا شُو رحْ إعملّكنْ فيها"، وحاولنا أن نمنعه من التعرّض لها، اقتربتْ، قال لها: "مرحبا يا زهره"، ردّتْ عليه بشرقطة، ومن فورها: "عَمْ قلّكْ لا تِحْكِي وْلا تمْزَحْ معِي"، وكانت الحاجّة أم عبد الحسين، السبعينيّة، تمرّ، وسمعتْ مثلما تسمع أي صبيّة، واقتربتْ منّا بكلّ خفّة وقالت لزهرة، فيما تشير إلى محمّد فوعاني: "طلّعي مْليحْ يا هبْلا، هيدا محمد فوعاني، إبن الحجّه سُحيرَهْ، إمُّه بيضا وعينيها زرقْ"!، وأشارت إلى أسعد، إبن خليل عبدالله، وقالت: "وهيدا أسعد، بيُّه أبيض، وجِدُّه أبيض، وعيونْهنْ زرقْ"!، وأشارت إليّ، وقالت: "وهيدا ابراهيم خليل فوعاني، جِدّهُ، كمان، ابراهيم خليل فوعاني، أبيضْ، وعينيه زرقْ، يا هبلا إحكي، امزَحِي، اضْحَكي، ما نحنا لَشُو؟، نحنا ل ل ن ي اكِي وبسْ"!.

2 ـ حريق برج البراجنة

"هاجرنا"، قاسم غول وأنا، من الضيعة ـ كونين، الى بيروت، وذلك عام 1977، استأجرنا بيتاً في محلّة برج البراجنة، وهو ذاته البيت، يا شوقي، الذي زرتنا فيه، وكنتَ أنت والصديق المرحوم د. محمّد موسى حمّود "أبو سعيد"، وقد كنتَ عائداً من "رشتات" الألمانيّة، وفي سنة 1978 رجع إلى لبنان شقيق قاسم، وهو المدعو وجيه، الذكي والسريع البديهة، من السعوديّة، حاملاً "بضاعته" على كتفه، وفي آن كان قاسم قد استأجر، له ولأخيه، بيتاً في "حارة حريك"، التي فيها تعرّف وجيه ذاته على فتاة "بيروتيّة" تُدعى آمنة، وينادونها دلعاً "أمّونه"، كانت تسكن مع أهلها قريباً منهما، وقريباً من إبنة بلدتنا "أمّ السّعود"، ولأمّونة شقيقة إسمها إيمان، صبيّة لطيفة، ناعمة، تشبه الزرافة، وتَزاحمْنا، في البداية، على إيمان ـ الزرافة، أنا وأمّ السّعود، هي تريدها لإبنها حسين الملقّب "عنيزي"، وتوالت الأيّام، وفي يوم ماطر، ذهبتُ مع قاسم، تقينا المطر شمسيّة واحدة، إلى بيته القائم في حارة حريك، وفي الطريق قلت له: "عندي بنتْ بدّي ـ أُريد ـ إتْزوّجها، وإذا إنْت بدّكْ إيمان بْقلّكْ من عندي: مبْرُوك عْلَيكْ"، تلقّف قاسم الفكرة، ورأيت السعادة ترتسم على وجهه، كنّا نعمل سويّةً في بناية "مونتي كارلو" المعروفة في منطقة "الحمرا"، ورغبتُ في مرّة أن أمزح معه، قلتُ له أنّ أمّ السّعود تريد أن تخطب حبيبتك إيمان لإبنها حسين، تملّكه الغضب وقال، والشرر يتطاير من عينيه: "والله بْحطّ عْلَيْها قنينةْ بانزينْ، وبْخلّي تْهبرجْ كلْ برجِ البراجْنِهْ"!.

3 ـ المسكين خليل

بالاشتراك مع "مْعلّم بْلاط" يُدعى "أبو جان"، وكان المرحوم ابراهيم حسن فوعاني يناديه "أبو جُوون"، استلم "المعلّم" قاسم غول "تبليط" بناية "بلديّاتنا" حسن علّوش في حارة حريك، على طريق مطار بيروت، وكان للمعلّم قاسم مساعد هو الفتى خليل، إبن سلمى المحسن، الذي كان قد فقد والدَيه، وبعدُ لا يزال يحبو، تكفّلتْ جدتُه لأبيه ـ الحاجّة فاطمة "أم أسد" بتربيته، ومرّة، وفيما خليل يعمل مع قاسم في الورشة، والساعة تقترب من غداء الظهر، نظر الى الشغّيل خليل فوجده "سارحاً" كأنما يفكّر بأمرٍ جلل، قال لذاته: "مسكينْ، عم يفَكَرْ بِحَالتُه، محروم مْنِ الأمّ والبي"!، سأله عطوفاً: "إشبكْ شِيْ يا خليلْ، بِشُو سارحْ"؟! ـ بماذا تفكّر؟!، قال: "والله يا معلّمْ عَمْ فكِّر رُوحْ جِبْلي 2 لحْم بْعجين كبار، وقنينتين بيبسي، وأُخبُطْهنْ غدا"!.

4 ـ مرحاض المْزَيرْعة

"ذهبنا، وجيه غول، خطيبته أمّونة، قاسم غول، إيمان ـ شقيقة أمّونة، وأنا، في نزهة عند "ملتقى النهرين"، وانفرد وجيه بخطيبته، مفسحاً المجال لأخيه قاسم لكي يتدبّر الأمر و"يعكشْ إيمان" ـ يحتضنها، وربّما يقبّلها، قلتُ لقاسم، وقد فهمتُ ما قصد إليه وجيه، إنّي سأنام تحت تلك الشجرة، و"رُوْحُوا إنتُو شِمُّو الهوا"، لم يرض، وتوالت الأيّام، وذهب وجيه وخطيبته أمّونة الى الضيعة ـ كونين، وعندما وصلا إلى الضيعة سألتْ أمّونة "البيروتيّة النشأة" خطيبها وجيه عن المرحاض: "وين ألْحمّامْ يا وجيه"؟، لم يكن "حمّام"، وإنّما كانت الحقول تلعب هذا الدور تحت شجرة، وراء صخرة، أو بين "الزرع" العالي، قال وجيه بدهائه، عالماً النتيجة سلفاً: "اسْألي عَمِّكْ" ـ والده "أبو وجيه" محمّد غول، الذي حين أراد وجيه منه أن يحكي له مع أهل أمّونة ليخطبها ظلّ يتمنّع، خصّيصاً عندما علم أنّ أمّونة إبنة مدينة لا إبنة قرية، عشرين يوماً، متعلّلاً أنه يريد أن "يحْلش ألْحمْصَاتْ"، وهو بإنتظار "ألْنِدى"!، التفتتْ أمّونة، وسألت عمّها الذي لم يكن بعيداً، وفي آن يتفحّصها من طرفي عينيه: "وَينِ الحمّامْ عَمُّو"؟، ومعروف عن أبي وجيه سرعة البديهة، تلمّظ قبل أن يقول لها، وهو يشير غير آبه صوب الحقول بناحية "المْزيرْعَهْ" في سفح الجبل المقابل: "معك يا روحي مِنْ هَوووونْ ـ من هنا ـ للمْزيرْعَهْ"!.

5 ـ حرارةُ الشوق

"سافرنا، قاسم غول وأنا، في أيلول عام 1979، إلى السعودية، وفي "الغربة"، وفي يوم، شعرَ قاسم بحرارةِ الشوقِ إلى حبيبته ـ الزرافة إيمان، وصارت أفكار كلّها سوداء لا تبرح تفكيره، مثالاً أن يأتي شخص ما و"يخطب إيمان"، فتضيع منه، وتداركاً، بعثَ شريطاً مسجّلاً إلى والدِه في كونين يحثّه أن "يخطب" له إيمان، وجاء الردّ مخيّباً للآمال، أبوه لا يريد أن يزوّجه من "مدنيّة"، بل سيزوّجه من إحدى بنات "الضيعة"، وقال في شريطِ التسجيلِ المضادّ: "غْرِقْنا بأوّلْ نهرْ (إشارة إلى إبنه وجيه الذي تزوّج من أمّونة "البيروتيّة" ـ وذاتها شقيقة إيمان) ما بدْنا نغرقْ بالنهر التاني، ما بدّي أخطبلك وِحْدِه بدّها قهوه وتلفون، وكلّ النهار قاعدي، لاكّي إجرْ ع إجر وكر كر كر حكي". وانعكس ذلك سلباً على قاسم الذي أصيبَ بوجعِ رأس، ويومها تغيّبَ عن العمل يومين.

6 ـ ماي وايف

بدأ يعاني قاسم غول من ألم في ظهره، كنّا نذهب سويّاً الى مستشفى "المانع"، أقود سيّارة "هوندا"، لصديق مهندس هنديّ يُدعى عبد الرحيم، كان الطبيب المعالِج من الرعيّة السوريّة، عنده ممرّضة فيليبينيّة "حلوه"، تكرّرَ المجيء لعند الدكتور، إلى أن أصبحنا والممرّضة "أصدقاء"، أخيراً عزمتُها إلى مطعم لتناول العشاء، فتمنّعَتْ، أو قلْ: رفضتْ، وبينما أنا خارج العيادة، إنتظاراً لقاسم، فوجئتُ بممرّضٍ ضخم الجثّة يبدو أنّه فيليبيني، يدخل عيادة الدكتور مسرعاً وصارخاً: "ماي وايف، ماي وايف" ـ زوجتي، زوجتي!، أدركتُ أنّ مشكلةً قد وقعت، ولم أدرك أنّي أنا "البطل"، رجعتُ إلى العيادة لأرى "قاسم" جالساً عند الممرّ الطويل، ويومئ خفيةً أني يجب أن أنصرف حالاً، وانصرفتُ مسرعاً، وانتظرتُه إلى أن خرج، وأخبرني أنّ الممرّضة لها زوج، باحثْ لزوجها بأمر دعوتها إلى العشاء ففاض غضباً ـ وأشارت لزوجها صوب قاسم الذي اصطنع الهدوء في مجلسه وقال للزوج الهائج أنّ الفاعل هو مجرّد سائق سيّارة أجرة، أوصله وانصرف، وأنّه شخصيّاً لا يعرف عنه شيئاً.

7 ـ شمسيّة عجيبة

"كنّا، قاسم غول وأنا، خارجين من "ورْشةْ عَمَارْ" في الكندرة ـ ناحية من نواحي جدّة ـ السعوديّة، صادفنا في الطريق بائعَ شماسي جوّال، وهو يمنيّ الأصل، وأخذ يكلّمنا بالفصحى، وقال، وهو يرفع شمسيّة ثمّ يفتحها: "هذه شمسيّة عجيبة، فإذا الجوُّ حارّ: تظلّلك، وإذا الجوّ ماطر: تقيك المطر، واذا كنتَ في طائرة، وسقطت الطائرة، يمكنك أن تهبط بهذه

المظلّة.. بسلام"!. قال له قاسم مستكثراً عليه هذه الفصاحة أو هذه "الفزلكة": "قومْ فلْ عنّا حاجْ لَعْوَكيْ ياه"!.

8 ـ صادق

"كنّا، قاسم غول وأنا، في مدينة جدّة ـ السعوديّة ـ عاملين في "ورشة عمار" مؤلّفة من "16 طابق"، وبالقرب منها توجد مدرسة للبنات، "حطّتْ" تلميذة سعوديّة "عينها" على قاسم ـ أحبّته، ومرّة أعطتني رسالة وقالت لي: "إدّيْهَا لِدَاكْ" ـ أعطها لذاك، الذي لم يكن غير قاسم، الواقف على الرصيف المقابل، و"دَاكْ" تسرّقَ يوماً ومشى إلى جانبها، وأعلمها أنّ إسمه هو صادق، وما ذلك إلاّ خوفاً من أن يعلمَ أهلُ الفتاة بأمره فيغضبون، و"يطلبون رأسه"، فليبحثوا، إذا علموا، عمّن إسمه صادق، وهو ذاته في آن سيكون قد اختفى عن الأنظار، وبعد يومين، ولسوءِ الحظّ، أقفلت المدرسة بداعي العطلة الصيفيّة، غير أنّ الفتاة لم تعدم وسيلة لإنجاد الحال، فتحتْ قناةَ اتّصال، أعطتْ قاسم رقمَ هاتفِ البيت، ولم يكن في ذلك العصر لا موبايل فون ولا فايسبوك ولا تويتر ولا واتساب أو أي من وسائل الإتصال الحديث، وفي أوّل يوم من العطلة التهبَ قلبُ قاسم شوقاً لرؤية الحبيبة، إنّما يستطيع أن يسمع صوتها، ومعه رقم هاتفها، تركَ الشغلَ مدّعياً المرض، أسرعَ في الطرقات يبحث عن "بوكس تلفون"، الذي كان شهيراً، وكان ينتصب عند أرصفة، وكان كلّما يصل الى واحد يجده مشغولاً، وعليه زحمة، أو يجده معطّلاً، و"لفّ المدينة" حتى تورّمتْ قدماه، والمثل يقول: "من جدّ وجد"، ووجد أخيراً واحداً، وضع فيه نقوداً، وطلبَ الرقمَ، وردّتْ حبيبتُه ذاتها وقالت: "مِينْ بِتْكَلّم"؟!، ومن لهفته، عوض أن يقول لها إنّه صادق، وهو الإسم الذي انتحله، قال لها إسمَه الحقيقي: "قاسم"، وهي لا تعرف أحداً بهذا الإسم، اغلقت الخطَّ، ولم تعد تردّ.

9 ـ سيّارة الجمعيّة

انتقلتُ من مدينة جدّة الى الظهران ـ منطقة "الخبر" ـ السعوديّة، وذلك بطلب من شركة البناء التي كنتُ أعمل فيها، وصادفَ أن كنتُ أقطن قريباً من بعض أهالي بلدتنا، وفي مقدّمهم الفاضل محمّد أحمد مسلماني، الذي طالما فاض عليّ بكرمه، كان إبن بلدتنا الصديق المشترك علي ديراني يعمل في شركة العليّان، وله زميل مصري يملك سيارة فولزفاكن "مْهَرهْرِي" ـ عتيقة جدّاً، قرّرَ المصري يوماً أن يذهب في إجازة إلى بلده، قال لزميله علي ديراني أنّه سيترك سيارته أمانة عنده إلى حين العودة، انشرح صدر علي، وصار يتّصل بي يوميّاً لكي أكون بجانبه عندما يقود السيّارة، فهو لا يملك رخصة قيادة

مثلي، ومرّة أراد أن "يفحص ماء الريداتير ـ خزّان الماء، وهو لا يعلم أنّ الفولز "تمشي بدون ماء"، رفع غطاء "الموتير" ـ المحرّك، عوضاً، ظانّاً أنّه "الريداتير"، وصبَّ فيه إبريق ماء، وقال لذاته، وقد لاحظ اختفاء الماء بسرعة: "أفّ، السيّارة فاضية"!، وصبّ إبريقاً ثانياً وثالثاً، وأخيراً قاد السيّارة، والماء يسيل من "الأشكمان" ـ العادم، أخذها إلى ميكانيكي عامل في "كراج" الشركة، وأعلمه أنّه ربّما "حَطّ بالسيّارهْ" ماء زيادة عن اللزوم، وضحك منه الميكانيكي، وأخبره أن الفولز لا تحتاج إلى الماء، وفي يوم جمعة، قصدتُه، وانطلقنا معاً وهو يسوق، وما أن بدأنا نلفّ كوعاً حادّاً مثل الكوع الذي بين قرية "بيت ياحون" وبين قريتنا "كونين" حتى انفتح البابان الخلفيّان "لوحدهنْ" ـ من ذاتيهما، كما يفتح شخص فجأةً ذراعيه، قلت لصديقي: "هالسيّارهْ مِتِلْ سيّارةِ الْجمعيّهْ"! ـ إشارة إلى سيّارة أبي سليم الطبل "التعبانه" في مسلسل "سيّارة الجمعيّة" الكوميدي، وطالما اشتهر سبعينات القرن الفائت على مستوى لبنان ككلّ.

ـ وعلمتُ أنّ بلدة بيت ياحون، التي عاش فيها طفلاً الشاعر اللبناني المعروف محمّد علي شمس الدين، قد تعرّضت لواحدة من أكبر عمليّات النصب في تاريخ لبنان الجنوبي الحديث، أفقدتها، للأسف، نصف أراضيها، والدولة اللبنانيّة غافلة.

10 ـ جهة القِبلة

رائف رسلان "أبو أنيس" انتقل من أستراليا، التي هاجر إليها في عام 1978، الى السعودية، وذلك سنة 1980، قاصداً أن يعمل عند إبنه أنيس، في منجرة هي لإبنه شراكة مع سعودي يُدعى مبارك، و"مِشِي الْحالْ"، وفي يوم، وبينما كان حساب للتكاليف والمصاريف والأرباح، أي يعملون "جَرْدِ حْسَابْ" كما كلّ آخر شهر، كان أبو أنيس يستمع "للجَرْد" مثل الخِلد، قُرئت فاتورة بتكلفة تصليح ساعة يد هي لإبن الشريك السعودي، استنفر أبو أنيس، دخل على خطّ الكلام بلا "إذن أو دستور"، أو أي استئذان، وفي شأن لا يخصّه، وقال: "ليشْ يعني تصليحْ ساعةْ إبن الشْرِيكْ على حْسَاب الْمَنْجَرَهْ؟!، ناقصْ تاكلوا، تخْروا وتْنِيكُوا، على حْساب المنْجَرَهْ"؟!، وسمع الشريك السعودي، تنكرز، احتجّ أن يظلّ أبو أنيس في المنجرة، وانتهى المطاف بأبي أنيس أن "قعد" في البيت، بين أولاد إبنه، يقول لهم مرّة: اسكتوا، ومرّة: إحكوا، و"ناقر" هذا وذاك وذيّاك، حتى ضجر أهل البيت، وبلغني أنّ أنيس يبحث لأبيه عن عمل، فذهبتُ إلى مهندس الشركة التي أعمل فيها، ويُدعى أحمد مكاري، قلتُ له أنّنا عندنا شخص يعزّ علينا، وهو صاحب خبرة بالنجارة، وقد عملَ عند إبنه الذي عزّ عليه أن يعمل أبوه في فبركته مع عمّاله الباكستانيين!، قال لي وقد فهم قصدي: "جِيبُو معَكْ بُكْرهْ" ـ اجلبْه معك غداً، كان أبو أنيس، والحقّ يُقال، عديم الخبرة بمهنة النجارة، حتى هو لا يعرف كيف يدقّ مسماراً، تستّر عليه المسؤول في العمل، كان

إسم هذا المسؤول: رضا جمعة، من بلدة حومين الفوقا ـ الجنوبيّة اللبنانيّة، أعطوه راتباً لا بأس به، انسجمَ مع العمّال والمعلّمين، كان صاحب هِمّة، يساعد الجميع ويلاعبهم بورقِ الشدّة، وكانت لنا في ذلك الزمن ساعة غداء، كنّا، المرحوم رائف "أبو أنيس" وأنا، راجعين إلى العمل بعد ساعة الغداء، وفي الأثناء مرّ بنا شخصان لبنانيّان كانا من بلدة ميس الجبل ـ الجنوبيّة اللبنانيّة، يعملان مثلنا في جدّة، كانا في نقاش، وجدل "بيزنطي"، حول جهة القِبلة، أحدهما يقول القِبلة "هيك"، مشيراً إلى جهة، والثاني يقول العكس، مشيراً إلى الجهة المعاكسة، ولمّا وقعتْ عيونهما على أبي أنيس، وجداه يضع على رأسه "عرقيّة" ـ "تأّوسة" ـ "ألّوسة" ـ طاقية بيضاء، ظنّا أنّه مواظب، من دون شكّ، على الصلاة، سألاه: "كِيف إتّجاه الْقِبْلِهْ يا حَاج"؟، شعر أبو أنيس بحرج، فهو لا حتى فكّر بأن يسأله أحد يوماً مثل هذا السؤال!، تلمّظ، قلتُ لهما مازاحاً: "ما لقيْتُوا تِسألوا عن القِبْلِهْ إلاّ أبو أنيس اللي بزمانُهْ ما دارْ وِجّو عالقِبْلِهْ"؟، وغضب منّي، رحمة الله عليه، وقال لي، وهذه حاله، فيما يهزّ سبّابة يده اليسرى بوجهي: "ولَكْ أنا ما بِعْرِفْ جِهِةِ الْقِبْلِهْ؟، أنا "بِزَ..رِي" بِعْرِفْ جِهة القِبله"!.

11 ـ جهاد عين زْدير

احتجّ "بلديّاتنا" "أبو جمال" أن لا يكون كتاب "كونين ـ لطائف وطرائف" مخصّصاً لنشر قصص جهاد أبناء كونين ضدّ الإستعمارَين "العثماني والفرنسي"!، عوض القصص "الخادشة للحياء" الواردة فيه، قلتُ له، لم يحدّثنا الآباء والأجداد أنّ دوراً مهمّاً كان للكونينيين في الجهاد، لا ضدّ العثمانيين ولا ضدّ من جاء بعدهم من الفرنسيّين، سوى واحد هو المرحوم محمد علي سرور، الذي التحق بثوّار أدهم خنجر وصادق حمزة ضدّ المستعمِر الفرنسي، إثر زيارة لهما، مع عدد من الخيّالة، إلى كونين، عسى يجنّدان منها مجاهدين، وسرعان ما اختفتْ آثاره، ولم يُعلَم بعدُ عنه شيئاً، والمُعتقَد، أن يكون قد استشهد في معركة، ويُقال في الأردن، وجلّ ما وصلنا، عدا ذلك، أنّ أغلب أهلنا كانوا من المزارعين الفقراء، والبعض كان من العمّال المياومين، يذهبون إلى فلسطين، قبل احتلالها من الصهاينة، سيراً على الأقدام، وقال في مرّة المرحوم حسن علي غول "أبو إبراهيم"، الذي أنشأ عائلة كريمة بفضل حكمته واجتهاده، على رغم الحال المعيشي القاسي للجميع في الضيعة، في ذلك الحين، وربّما للمنطقة كلّها التي وُسِمت في ما بعد أنّها "محرومة"، أنّه ذاته كان ما قبل منتصف القرن العشرين "يغفلْ ويفِيقْ" داخل نفق نبعة "عين زْدَيْرْ"، التي بالكاد تنقّط ماءً، انتظاراً لكي بالكاد يستطيع آخر النهار أن يملأ إبريق ماء واحد للشرب!.

(الهجرة إلى كونين)

قبل رحيله عن عالمنا، بعث إليّ المرحوم الأستاذ خليل فرحات، إبن بلدة عيترون الجنوبيّة اللبنانيّة الحدوديّة مع فلسطين المحتلّة، وغير البعيدة، من كونين، وبعدما وقع بين يديه كتاب "كونين ـ لطائف وطرائف" وانسرّ بفكرته وطرائفه، بريداً أشارككم ببعضه: ".. وقامت طائرة إسرائيليّة في سنة 1948، وكان أهلنا في عيترون يسمّونها "الزعرا"، بقصفِ البلدة، وتركَ الأهالي بيوتَهم و"هاجروا" إلى كونين، ومنذ ذلك الحين دخل مصطلح الهجرة الى كونين في "كرنولوجيا" تحديدِ أعمارِنا، كانت كونين ملاذ أهل بلدتي وحضْنهم الدافئ، وسلّة التين، وخبزهم الحافي، وموطن ذكرياتهم الطيّبة، ولا تزال، وأبناء جيلي ما زالوا يعتقدون أن كلاً منهم ترك شيئا في تلك الربوع، أحدهم ترك فخّ العصافير، آخر تخلّى عن قضبان الدبق منصوبة كمصيدة للحنين، وثالث ملأ كأسَ العودة إليها بالدموع، عمري كان في ذلك الحين يُحتسب بالأشهر، قَصفتِ "الزعرا"، من ضمن ما قصفت، حيّ الفراحتي "آل فرحات"، في باب الحاصل، سقطت قنبلة في فناء الدار، كان أبو علي فرحات يطلق خراطيشه الأخيرة على "الزعرا"، وبقيتُ أنا وحيداً وسط الهلع أحبو بين الخراب، حتى أتت جارتنا زمزم وحضنتني، وقالوا لي في ما بعد أنّها قالت: "لوينْ رايح يا مقصُوف الرَقَبِهْ"؟، وها أنا الآن اقول للحاجّة الرؤوم، لجارتنا زمزم: "كنتْ لاحِئْهُن عَ كونين" ـ أتبعُهم إلى كونين.

(زعران إسرائيل)

الأستاذ علي عبد الأمير بيضون ـ مدير ثانويّة بنت جبيل، العامليّة اللبنانيّة، الأسبق ـ قصّ عليّ ما أرغب بسماعه، وذلك عندما التقينا، وهو في زيارة من لبنان إلى سيدني، في منزل إبنه المهندس هشام بيضون: وكانت إسرائيل عام 1983 جاثمة على كامل الشريط الحدودي ـ جنوب لبنان ـ مع فلسطين منذ سنة 1978 ـ إلى سنة ألفين، أي إلى عام التحرير، وتعيث فساداً بمعاونة عملاء محلّيين ينتمون إلى أحزاب يمينيّة محافظة، وإلى عناصر من كلّ الطوائف الخاضعة، وطلبتْ، في مرّة، من وجهاء ومخاتير وفعّاليّات قرى قضاء بنت جبيل أن يحضروا إلى "عيتا الشعب"، الواقعة على الحدود مباشرة، ولم يتردّدوا في الإستجابة، غير مخيّرين، وسأل الضابط الإسرائيلي، إثر انتهاء "خطبته" عن قوّة الصداقة الإسرائيليّة ـ اللبنانيّة، بلغة "مكسّرة"، إذا كان لأحد أيّ سؤال؟، ووعد، كاذباً طبعاً، أنّه مستعدّ للإجابة، على السؤال، بالصراحة، وبالسخاء على أي طلب، أحدٌ من الحضور لم يسأل ولم يطلب، فماذا يسألون وماذا يطلبون، و"على خصرِ الضابط فردْ" ـ مسدّس، والمكان ينتشر فيه جند ومسلّحون، وغير بعيد دبّابة ميركافا" ـ مركبة الربّ، التي انقلبت

إلى علبة بسكويت أمام صاروخ الكورنت بيد المقاومة في حرب تمّوز 2006، وفقط "مختار كونين" المرحوم الحاج عقيل مهنّا "أبو محمّد" تجرّأ وقال، وهو يقف، ويرفع، في آن، إصبعه، كأنّما يطلب الكلام، وبصوته الجهوري الشهير: "إلْنا مَطلبْ واحدْ يا حضرة الضابطْ، بس ردُّوا زعْرانكنْ عنّا" ـ المتعاونين، ووعده الضابط الإسرائيلي خيراً لم يكن.

(برهانُ الله)

جُنّ جنون إسرائيل، قُتِل لها جنديان وأُسِر إثنان، بعمليّة للمقاومة عند ناحية من كونين ـ جنوب لبنان، سنة 1986، وقرّرتْ معاقبة البلدة، مع علمها أنّ المنفّذين هم من خارجها، وأشاعت أنّها ستقصف بالمدفعيّة، وكي يسلم أهل كونين عليهم الرحيل.

وخرجوا من دورهم شيباً وشبّاناً، نساءً وأطفالاً، تاركين خلفهم، كلّ شيئ، وانتشروا في الحقول والجبال المحيطة وهم ينظرون خلفهم ويرون اللّصوص ـ المتعاونين مع إسرائيل، ومن كلّ الطوائف المسيحيّة والإسلاميّة، "طالْعِينْ نازْلِينْ، ما خَلّوا شِيْ: الدخّانْ، الْدَوَابْ، الْحْبُوبْ، حتّى شَبابيكْ وِبْوابْ البيوت وقْفاصْ الْقبور"، وأحد اللّصوص دخل مقام النبي "دانيان" ـ دانيال ـ القائم عند الجهة الجنوبيّة من البلدة الواقعة عند قمّة جبل، وكان بالإجمال مقاماً جدّاً متواضعاً ـ غرفة ـ حجرة، "مُليَّسة" ببساطة و"مطْروشةْ" بدهان أزرق باهت وفي جانب واحد، مع قبّة متواضعة خضراء اللون.

وكان في الفناء شجرة "بُطن ـ بُطم ـ قديمة ـ "مْكلّخة" وعلى الرغم لا تزال تورق، وبالقرب قبور عمر بعضها أكثر من قرن ونصف قرن، وواحد منها لشقيق والد جدّي، وهو المرحوم نايف مسلماني، وفي المقام محمل مغطّى بقماش، و"قِجّة نذورات".

استنكرت الحاجّة سهجنان، التي بقيت في القرية، مع قلّة، أن يدخل "المتعاون" إلى المقام، وذكّرته، وهو مسلم، وحذّرته، خصوصاً عندما رأته يقترب من القجّة، وقالت له إنّها "نذُوراتْ" لنبي الله "دانيان"، وإنّ من يمسّها لن يسلم من غضب وعقاب، فدفعها، وقعتْ على الأرض، قالت له، وهي هذه حالها، وتراه في آن يضرب القجّة بكعب سلاحه فتنكسر، ويهرّ ما فيها: "الله يهرّ مَصَارِينَكْ مِتِلْ ما هرّيتْ هالنْذُورَهْ".

وهو ذاته، وفيما كان يُغادر سالكاً الطريق الترابي ـ "طريق المقبرة" الذي يصل كونين ببلدتي عيناثا وبنت جبيل المجاورتين "طلعْ فيهْ لغمْ" ـ انفجر به لغم، من عمل المقاومة، بالتأكيد، ويُقال أنّه كان يحاول تفكيكه، وصلَ الخبرُ إلى الضيعة، وإلى الحاجّة سهجنان، مع معلومة أنّ اللغم "تعبّى ببطن اللّحدي، وهرّت مصارينه"، قالت للعجائز حولها، والبشرى في وجهها، بعدما سبق وقصّت عليهنّ خبرها معه: "الله بيّنْ برْهانو دغري".

ـ ليس في ذاكرة الكونينيين، إلى اليوم، معجزة لها علاقة بالمقام غير التي سبق وذكرتها، أي معجزة قتل "الواوي"، وإذْ أسجّل قصّة قتل "الواوي" الثاني، أكون أسجِّل، لنبي الله دانيال، في كونين، معجزته الثانية!.

(الخروج من عيناثا)

من طريقِ "الميذنه" ـ مئذنة بلدة عيناثا ـ نادى المنادي، وهو أحد عملاء إسرائيل، بوجوب أن تخلو البلدة من أي كونيني يكون قد لجأ إليها إثر تهجير أهالي كونين سنة 1986، بعد عمليّة "الأسيرين" الإسرائيليين، وكلّ عيناثي يأوي كونينيّاً ولا يرحّله سيُرحّل وأسرته من بلدته معه أيضاً، وقال أحدُ أبناء عيناثا يائساً، وكان يؤوي صديقه الحاج موسى الشيخ حمّود "أبو ناصيف" وزوجته الحاجّة "أم ناصيف": "خلّيكُنْ هون، واللي بِيصِيرِ عليكن بيصير علينا"، ولكن أدرك الحاج أبو ناصيف أنّ الأمر محرج، عانق صديقه وشكره، وخرج والحاجّة، وغيرهما، من بيوت عدّة، وأهل عيناثا ينظرون إلى الراحلين بعيون حزينة، ولسان الحال يقول، وعمر كلّ كريم يطول: "العين بصيره واليد قصيره".

(يوم التحرير)

أيضاً قصّ "بلدياتي" عدنان فوعاني: "كنّا في بلدة "بيت ياحون" أنا وعائلتي نقف مشرفين على بلدتنا "كونين"، كالمئات غيرنا من المنتظرين إنسحاب العملاء من موقع "شلعبون" و"صفّ الهوا". العملاء يقصفون أطراف كونين. وقعت إصابات. فجأة مروحيتان عسكريّتان إسرائيليّتان فوق الحشود. تفرّق الناس. الشظايا من حولنا. أصيب إبني بمسمار إثر سقوط قنبلة يُقال "مسماريّة". أسرعتُ بعائلتي، اختبأنا في منزل مهجور ليس فيه باب ولا شبّاك. نمنا ليلتنا. وحقّاً لم يغمض لنا جفن. مِن "دغشة" ـ مع طلوع الفجر ـ كنت أوّل الواصلين الى كونين، هي على حالها منذ تركناها "ليلة" التهجير عام 1986. أنا في ساحه الضيعه. التقيت بالحاج عبد الكريم بلّوط ومع المختار الحاج علي موسى الدبق واقفين ذاهلين ماذا يحصل؟. كانا من القلّة النادرة في الضيعة لا يزالون. والناس يتوافدون زرافات ووحدانا. سألني المختار، رحمة الله عليه: "مين أنت؟. مين أنتوا؟. شو عم يصير؟. شو هل الأعلام والرايات، وع الأعمده والبيوت"؟. قلت له، وقد ظهر لي أنّه لا يدري حقّاً أنّ إسرائيل قد هربت: "يا حاج تحرّرت كونين". لم يصدّقني، سألني: "إبن مين أنت"؟. قلت: "أنا عدنان فوعاني إبن المرحوم الحاج صادق فوعاني". قال: "الله يرحم بيّك". وأخذني بالأحضان وأجهش باكياً، وضمّني الحاج عبد الكريم بلوط، رحمه الله أيضاً، وهو يردّد

بصوت مرتعش: "الحمدلله تحرّرنا". وتطايرت زغاريد. إنّه يوم النصر، إنّه عرس النصر، إنّه عام ألفين، حلم تحقّق، شئ لا يصدّق.

(جدّي في فلسطين)

وقصّ "بلديّاتي" عدنان فوعاني وقال: "كان جدّي الحاج محمد قاسم فوعاني، بشهادة كلّ من عرفه، أحد عقلاء كونين وفضلائها، والكثيرون طالما لاذوا بمشورته، وكان مع جدّتي، رحمهما الله، يحبّاني، ويسمحان لي أن أنام بينهما سعيداً. وفي العشيّات كانت تلتئم سهرات جدّي حول نار "الداخونه" مع جيرانه، ومنهم الحاج عبد الهادي بلّوط والحاج جميل سرور والحاج محمد سعيد بِشِر والحاج علي العجمي والحاج حسن علي فيّاض وخالنا كريم فوعاني، كنت ولداً حين قصّ جدي، فقال إنّه كان في جيش الإنقاذ سنة 1948، دخلوا المالكيّة بعدما هزموا عصابات الصهاينة، وأشرفوا على بحيرة طبريّا، وكانوا يتقدّمون حتى جاء الأمر فجأة بالإنسحاب. كان يتحدّث عن الخيانة بمرارة. والآن، وأنا أشاهد "الفضائيّات" عن التطبيع . 2020 . أتذكّر جدّي، رحمه الله، في تلك الأيّام، وماذا تفعل الخيانة. الله يرحم جدّي. كان في جيش الإنقاذ مع رفاقه، رافعين البنادق ويهتفون: "فلسطين عربيّة، فلسطين عربيّة، عربيّة عربيّة".

(الحيّ والميت)

جدّتي لأمّي ـ المرحومة الحاجّة أمّ العلى سرحان بلّوط مهنّا، "أم عبد اللطيف" ـ وإلى سبعينات القرنِ العشرين، كانت طالما تردّد: "بَسْ بِعْجَزِ ٱلإنسانْ بْيِعْجَزْ زَرْعُهْ معُهْ"، وتقول لأبنائها، وهي تشير إلى الجبال أمامها: "طَلّعُوا مليح ـ أنظروا جيّداً ـ الكرْم الأخْضَرْ صاحبُهْ طيّبْ ـ حيّ يُرزق ـ والكرْم اليابسْ صاحبُهْ ميّتْ"، وأيضاً: "بِيْمُوتْ صاحِبِ ٱلرِزقْ وْبِيْمُوتْ رِزْقُهْ معُهْ".

(كلامُها "قرآن")

أذهلتني خالتي الحاجّة أمينة مهنّا حمّود "أم ناصيف"، وسنّها تجاوز التسعين، حين قالت لي، فيما تصف الحال: "إذا الِحْوالِهْ ـ الأحوال ـ انهدّتْ عالجْبالِهْ ـ الجبال ـ بتْهدّها، نِحنا

بْنبْكي ـ نَبكي ـ على حالْنا وْنِحنا طيْبينْ، راحِ اللي راحْ، متلْ اللي شفت مْنام وْراحْ"، ورنّ الموبايل، ووجدتُني أقول لمحدّثي على الطرفِ الآخر، الذي لم يكن غير إبنها المهندس علي موسى حمّود، بعدما علم أنّي عندها: "قلْ، يا رجل: كلامها قرآن"!.

\\

وفي ما يلي ممّا سجّلته نقلاً عنها، خلال زياراتي لها، في سيدني، وكان يتردّد عموماً على ألسنة الكونينيين، أقلّه حتى سنة 2000.

\\

1 ـ (الحياة حْكايات)

ـ "الْبُعُدْ جَفا".

ـ "هَدَاةِ الْبَال مْنِ الْغِنى".

ـ "الْقريبْ منِ الْعينْ قريبْ منِ الْقلبْ".

ـ "راحْ دورْنا وْإجا دَوْر غيرْنا".

ـ "إذا الْقلبْ مِرتاحْ الراسْ مِرتاحْ،

وْإذا القلبْ مِشْ مِرتاحْ الراسْ مشْ مرْتاحْ".

ـ "العمرْ قَطّاعِ الشدايدْ". "أللهْ خلقِ الحلوْ وِالْمُرّ".

ـ "الحياةْ ذِكريات". "الحياة حْكايات".

ـ و"شُو جابْنا عَا هلْ أرضْ إلاّ النصيبْ"؟.

2 - (إذا)

ـ لا الغِنى مِلكْ ولا الفقر مِلْكْ.

ـ ما في حَدا بَخِيلْ، واللي ما بيجودْ إلك بيجودْ لغيركْ.

ـ إذا الناس بيحْصُوا الأرضْ

"أي يسمّون صاحب هذه القطعة وصاحب تلك"

بْيوقف الفقير عالطريق ـ "أي يَنتبِذ، فهو لا يملك شيئاً".

ـ الدّعاوِي مِتِل الحْجَارَهْ: شِي بيصِيْب وْشِي بِيْخِيبْ.

ـ الله لا يجوّعْ كِبِدْ حَدا.

3 - (إلاّ الزواج)

ـ "في ناسْ بيطلعْ من حلقا سمّ

وْفي ناس بْيطلعْ مِن حلقا عسلْ".

ـ "كلّ شِي غَصِيبْ إلاّ الزواجْ:

قِسْمِه وْنَصِيبْ".

ـ "فخفخْ يا جوزْ قلبكْ فاضي".

ـ "إذا عدوّكْ نذلْ شدّ أعصابَكْ".

4 - (لِتّيهنْ بالزِبِلْ!)

ـ "النسوانْ فيهنْ جواهرْ وْفيهنْ عَوَاهِرْ".

ـ "حَطّوا القحْبِهْ بالجرّهْ دارتْ طرفها لَبَرّهْ".

ـ "الضُرّهْ مُرّهْ ولَو كانتْ إذنْ جَرّهْ".

ـ "وِحْدِهْ بتْرذِّلْ بلدْ وْحَرامي بِيْحَيِّرْ بلدْ".

ـ "ما تْلبّسِي وْلادِكْ وتْزيْنِيهنْ، بِيْصيبوهن بالعين
لِتّيهُنْ بالزِبِلْ"!.

\\

وأنقل عن كونينيين:

\\

ـ"الْمَا عندو ورَقْ ما بيشربْ مرَقْ".

ـ و"النظرْ فاكْهةْ".

ـ إنصاف حمّود سعيد "أم علي".

ـ "الله خلق الأرض بْسِتِّ أيّام وْبعدا بتهزّ".

ـ "إعملْ كالنبي تكنْ نبي".

ـ و"اللي عنْدُه زلعومْ بدُّه يقُومْ".

ـ شاهر علي مسلماني "أبو شوقي".

ـ "بعمرك ما تقول للجوعان وين زادك، وللعريان وين تيابك"؟.

ـ "لو جحا بنّا كانْ بِدَارو غنّا".

ـ و"اللي بتْطعْمِيهْ بِيفُوحْ، واللي بْتاكْلُه بِيروحْ"!.

ـ لطيفة مهنّا عسيلي "أمّ حسين".

ـ الرزقْ من بابْ واحد حزين.

ـ محمّد نعمة عسيلي "أبو عبّاس".

ـ "يا مسترخص اللحمْ عندْ ما تْدوقْ المرقْ بْتِنْدَمْ".

ـ و"قال الَحَلاّشْ: كِيفْ بدّي إرتاحْ والزرعْ واقِفْ"؟.

ـ محمّد كامل علي مسلماني "أبو كامل".

ـ "إذا خصمكْ واوي تْحزّملُه بحزامْ سبعْ".

ـ عبد اللطيف مهنّا "أبو محمّد".

"أيام الزيتْ ما أصبحتْ لأمسيتْ".

ـ ألطاف موسى حمّود "أمّ هيثم".

(دلعونا)

أ ـ الحاج محمّد حسن مسلماني "أبو كامل"، اشتهر في شبابه بإسم "أبو جورج"، كان في ستينات وسبعينات القرن العشرين عازف منجيرة ماهر، وعازف طبلة مجيد، وملك بالدلعونا والعتابا والغناء، وكلّ الأفراح التي أحياها كانت عن حبّ وغواية، أي بلا أي مقابل، وعنه أنقل دلعونيّات كانت من ذلك الزمان:

ـ "دِلّي دَلْعُونا دِلّي دَلْعُونا \ إركبْ عَ العنْزِهْ، تْمَسَّكْ بِقْرُونا".

ـ شفْتِلّكْ شَوفِه الْجملْ بِيصلّي \ وِالجّاجِه بْتطْبُخْ وِالدِّيكْ بِيْقَلّي \\ وِالْعنْزِهْ راحتْ عَ الْعَين تْمَلّي \ والْجَحْش بْيِحْكِي عَ التلفُونا".

ـ "يا إمّ السوالِف جنِحِ الوطواطِي \ هتلرْ وِجْيُوشُهْ معْ جنْبِكْ لاطي \\ ما تْخلّي قْشَاطِكْ يدْقُرْ بقْشاطي \ بيفْلَتْ هلْ برْغي عَ الدّرْكسْيُونا".

ـ "يلعنْ هلْ وَقْت وْيلعنْ هلِ مْعَاش \ الخَلاّني أحْرُثْ عا فدّانِ جْحاشْ \\ رُوْحي من قبَالي يا بنْت الْغشّاشْ \ مَاعَدِشْ تفْرقْ مَعَي بالْكُونَا".

\\

ب ـ ومن الدلعونيّات التي تردّدتْ في سبعيناتِ القرنِ الفائت نقلاً عن الصديق عبّاس حيدر:

ـ "يـ إمّ السوَالفْ جنح السَمرْمرْ \ إنتِ بْبَيتْ أهلِكْ وَأنا بتْمرمرْ \\ والله لاصطادِكْ لو كنتي ورْوَرْ \ ولاصطادكْ والله بْغَمْزِ العْيُونا".

ـ قلتلاّ مشّي نعملْ مؤْتَمَرْ \ قالتْ ما بِمْشي عَ ضوّ القمرْ \\ قلبِك عْلَيّي أقسى من الحجر \ وْقلبي عَليكِي رْقِيق وْحنونا".

ـ يا طيرِ الْطاير فوق كيلو تِسْعَهْ \ دَشَّرْنِي حبيبي وْهَيْ أوّلْ لسْعَهْ \\ تحْرمْ عْلَيّي الدبكِهْ والخَسْعهْ \ مَدَامْ حبيبي غايبْ مشْ هُونا".

ـ "وَانَا لارْحَلْ واسْكنْ بِالكُوفِي \ لاجلِ اللّي بْتعْطِي وعْد وْما بْتُوفي \\ عمَّا تْبادِينِي عَلَى معْرُوفي \ وْعَلَى معْروفِي عمَّا تْبَادُونا".

ـ "يـ امّ السوالف جنح التِرغلّي \ عليي بـ تحْرَمِي وْعَالغَيْر تحلّي \\ أنا كرْمالِكْ لَهْجرْ هلْ ملّي \ وْأنصبْ بِتْ شعرْ مثْل الحمدونا".

ـ "يا امّ التنّورهْ بـ 12 لوني \ كُبّهْ دينارِي سْبَيتي بسْتوني \\ ما بدّي ياكي فِلّي منْ هوني \ يا بنت الستعْشَر ألِفْ ملْعونا".

ـ "بَعدْ تَعذِيبي حَكمْتِي فيّي \ وْقلبِكْ هالقاسِي ما في حِنّيي \\ انشالله بتْصِيرِي مثْل الْنُوريّي \ وبْتِحمْلِي وْلادِكْ بالشَقْلَبُونا".

"مِنْ لمَّا شِفْتِكْ شَغَلْتِي قلبي \ كِتِرْ ما لْحِقْتِكْ ضيَعتْ درْبي \\ يا جِنِسْ حوّا مِنْ قلبِي وْرَبَي \ جرّافِهْ تشِيلَكْ مِن كلّ الْكُونا".

ـ "اعْطِيني قميصَكْ بدّي خَيّطْلَكْ \ بْلادَك بْعِيدهْ كِيْفِ بْعيّطْلكْ \\ عَ جِنْحِ الْورْورْ سَلام بِبْعتْلكْ \ ردّلَي الْجَوَابْ معِ الْسنُونا".

\\

ج ـ وهاكم ممّا في الذاكرة:

ـ "قِلتِلاّ بْحِبّكْ قالِتْلي بْرِيدَكْ \ قِلْتِلاّ مْلبَّكْ قالتْ مِنْ إيدَكْ \\ قِلْتِلاّ قِلبِكْ قالتْلِي جِيْدَكْ \ قِلْتِلاّ قَلْبِكْ قالتْ حانُونا".

ـ "سَمْرا يا سَمْرا حِلْوْهْ هَلْ مُوضَهْ \ طَعْمِةِ شْفَافِكْ تَعْطِي بِحْمُوضَهْ \\ وصارْت تِتْمَشّي بِجَنْبِ الْقُوضَهْ \ وْكَعْبِ الْكُنْدَره يهِزّ الْباطُونا".

\\

د ـ وهاكم من بعض طفولة أواخر ستينات القرن الفائت:

ـ "كانْ حاكِمْ \ كانْ عادِلْ \ مَاتْ زَعِيْمِ الْحَرَامِيّهْ"!.

ـ "كانْ هيّنْ \ كانْ لَيّنْ \ مات وْزِبُّو بَعْدُو مْبَيّنْ"!.

ـ "يا رايِحْ عَ شَقْرا \ ويا جايِي من شَقْرا \\ جِبْلِي معَكْ شَفْرَا \ لحيتي طويلي"، ومرّات نقول مبتهجين: " شِعِرْتِي طَوِيْلِي"!.

ـ "ويا رايِحْ عَ الْطِيرِي \ ويا جايِي من الْطِيْرِي \\ جِبْلِي معَكْ "مِيْرِي" \ إمّ عْيُونْ كَحِيْلْي"!.

\\

هـ ـ وإلى سبعيناتِ القرنِ الفائت كانوا في كونين إذا أشادوا بفائق طول صبيّة يقولون: "بِغْزْيْ العيْنْ مِتِلْ نَخْلِة جْوَيَّا" ـ و"جْوَيّا": قرية عامليّة، وإذا وصفوا إنساناً محترماً قالوا: "كريم اللّحية"، وإذا إنسان فاقد إحدى عينيه فهو: "بْفَرْدِ كْرِيْمِهْ"، و"كْرِيْمِهْ": ربّما هي من "كَرِيمَة"، تكريماً للعين، وإذا آخَر فاقد إحدى ذراعيه فهو: "بْفرْدِ جْناحْ".

\\

و ـ وممّا كان يتردّد على ألسنة الكونينيين في مناسبات مختلفة، نقلاً عن أحمد عناني، عن أبيه المرحوم عبد الأمير عناني: "عقدتُ أيدي السارقين وأيدي الكاذبين وأيدي المنافقين وأيدي الكافرين وأيدي الظالمين وأيدي الحاسدين، عنّي وعن أولادي وعن جميع أهالي بلدتنا أجمعين بقولةِ: ألف ألف لا حولَ ولا قوّةَ إلاّ بالله العليّ العظيم، انشالله بْتِرْجعُوا يا

وْلادْ بلدْنا جميعاً أجمعين، سالمين غانمين، يا أللهْ، لا فاقدين ولا مفقودين، إلى أوطانكم ولأهلكم في أوطانكم بدون إستثناء، يا ربّ العالمين، واللهْ يْهَدِّي البالْ وْيفتحِ الْحالْ، بحقْ لا إله إلاّ اللهْ، بحقِّ العين التي لا تغفل ولا تْنام، يا ربّ إرحمْ عِبادَك بمشارقِ الأرض ومغاربها، اللهمّ إنّي أدعوك كما أمرتني فاستجبْ لي كما وعدتني إنّك لا تخلف الميعاد، اللهمّ إنّي أدعوك كما أمرتني فاستجبْ لي كما وعدتني إنّك لا تخلف الميعاد، اللهمّ إنّي أدعوك كما أمرتني فاستجبْ لي كما وعدتني إنّك لا تخلف الميعاد".

\\

وكان الشيخ الكفيف علي ياسين يقول: "يا فاعل الخيرات بالشدّات تلقاها".

**

وكان قاسم طعمة يقول: "يا تَجْرَةً ما عدّلتْ خِرْيِتْ بِدَقْنِ صْحابْها".

**

وكان محمود فيّاض يقول: "الفاااتحه عن روح المرحوم، من أعلى القصور إلى أوطى القبور".

**

وكم كرَّر شاهر علي مسلماني، إذا ألحّ على تجاوز خطأ، أنّ: "اللهْ خلق الدنيا بستِّ يّامْ - "ستّة أيّام" وبعدها بتْهزّ"!.

**

وقالت الحاجة أمينة مهنّا حمّود، خالتي "أم ناصيف"، أيضاً وأيضاً: "حامي الحِمى، يا شوقي، يرْعاكْ".

\\

ز- وقبل زمان الإنترنت والهاتف الجوّال والفضائيّات والفيديو والتلفزيون والراديو والترانزستور، كانت "الحزازير" تتردّد في مجتمعات قرى القرن العشرين، خصوصاً حول المواقد في الشتاءات الباردة، وإليكم ثلاث "حزازير" طالما تردّدت على ألسنة أبناء كونين، نقلاً عن المرحومة "أم علي" - أنصاف حمّود سعيد ":

1 - "عُوْجْ قرْنيها، صُفُرْ عينيها \ والعنْزِهْ أللّه لا يهديك عْليها" (؟).

2 - "يا ريمةً بالبَرّ الملوك تْعوزْها \ بحرْها بـِ بطنْها ومْعاشْها براس طربوشْها \ صوتها بالجوّ بْيرعدْ رعيدْ \ وانْ كنتْ شاطرْ يا شاطر تفضّلْ حِلّ رْموزْها" (؟).

3 - "حجر حجرجر حجر لأ \ رقبه طويله جمل لأ \ وأربع إجرين.. بقرة: لأ" (؟).

.

(أخيراً وليس آخراً)

وبعد فترة من صدور كتاب: "كونين - لطائف وطرائف" أرسل إلي صديقي إبراهيم خليل فوعاني بريداً الكترونيّاً يقول فيه: كتاب "كونين - لطائف وطرائف حدَث تاريخي، خلّدنا مثل مسلسلْ صحّ النّومْ - مسلسل تلفزيوني سوري من بطولة دريد لحّام "غوّار الطوشه" - "وأنا وْماشي بالضيعه، بْشُوف عيون اللي قَريوا الكْتابْ عَمِ تْلاحقْنِي"!.

**

وأيضاً:

أ - "الحاج عبد اللطيف مهنّا "أبو محمّد" موجود في الضيعة، عثر على كتاب كونين عند الصديق إبراهيم حيدر، حمله إلى دكّان رفعت طعمة "أبو وائل"، فهو "فاتح ديوانيّة" بمحاذاة الدكّان، يجتمع فيها عدد من أهالي بلدتنا، ومنهم إبراهيم منصور، عبد الكريم عناني، حسين محمود بلّوط، محمّد خليل حيدر - زوج أمّ عماد، حسين بِشِر، ابراهيم غول، حسن مصطفى.. وغيرهم، بدأوا بالقراءة حتى وصلوا ضاحكين الى قصّة أغضبت أحد الحاضرين، وهي عن أحد يخصّه، و"رَاح يْتَرْشِق شمالْ وْيَمِينْ"، وأخيراً أقرّ مع الجميع، مبدياً سعة صدر، أنه لولا الأسماء الحقيقيّة في الكتاب، و"كَمْ كِلْمِهْ سِكْسِيّهْ، لَكَانْ الكْتاب انْتَشَرْ "إنتشارَ النار في الهشيم"!.

**

ب ـ "وقرأ عبّاس حيدر كتاب "كونين لطائف وطرائف" ضاحكاً من الغلاف إلى الغلاف، وعلّق أنّه لولا بعض الألفاظ مثل: "زَبْر وْطِيزْ" لانتشر الكتاب مثل النيران في الهشيم".

**

ج ـ "جدّي لأمِّي الحاجّة يمامة "أمّ إبراهيم" كان، بعدما يصلّي الصبح، ينزل الى التبّانة، يمسك الدجاجات واحدة واحدة، ويضع يده على "طِيزْ كلْ وِحْدِه"، ليعرف عدد البيضات التي سيجمعها بعد الظهر"!.

**

د ـ "ما هو الزيت الحلو الذي نسمع به في بلدتنا كونين ولم نره ولم نتذوّقه؟، إنّه كما أفادني الكبار في السنّ، ومنهم أبو عبدالله فوعاني، والحاجّة سحيرة، من "عصير" البطم، أو كما نقول بالعاميّة: "البطن"، والبطم، كما تعرف، هو شجر معمِّر يكثُر في بلدتنا، وكم قطّعوا منه في زمن الإحتلال الإسرائيلي، ألا شلّت يد القاطع، وكانت معصرة البطم في بلدة ميس الجبل".

**

هـ ـ "استيقظتُ اليومَ فجراً مذعوراً من المنام الغريب الذي رأيته، جاءني المرحوم عصام، سمعته يناديني باحثاً عنّي، التفتُّ إلى ناحية الصوت، فإذ هو عصام في "أحلى حالاته"، يرفل بطقم كحلي، مع كُرافات، و"مْنَعِّمْ" ـ لحيته، كأنّه معزوم إلى عرس، وما أن رآني حتى أخذني بالأحضان، وبدأ يقبّلني!، قلت لنفسي: "كِيف هو ميّت، ووجهه في القبر مصفرّ اللّون، وفي آن، ها هو بأحلى حالاته"؟!، واستيقظتُ، واستخلصتُ أنّ المرحوم ربّما يريد أن يبعث لي "فيزا" زيارة أبدية!، ارتعدتُ، ثمّ قلتُ لنفسي: ربّما هو مبسوط منّي، لأنّي، عند صلاة الصبح، كثيراً ما أقرأ له الفاتحة، مرفقة بسبع مرّات "قل هو الله أحد"، وسبع مرّات "إنّا أنزلناه في ليلة القدر"!، ويقال، يا صديقي، أنّ الميّت يعرف من يقرأ عن روحه الفاتحة".

**

و ـ و"إلى عام 1968، أي إلى عام وصول الكهرباء إلى كونين، كان أهلنا يقدّمون أحياناً قنّينة كاز، "نذورات"، لإضاءة مقام نبي الله دانيال، وكان الحصول على الكاز غير يسير، كانت أنبوبة ـ نصف ليتر كاز تتنقّل بين عدّة بيوت، لإشعال النار تحت صاج الخبز بنشارة المناجر، أو بجذوعِ شتولِ الدخان اليابس، أو بلطاطيعِ البقر، واليوم صارت القناديل من التراث، أو قلْ هي: "تُحَف".

**

ز ـ "أحدثتْ قذائف إسرائيليّة ضرراً بمقام نبي الله دانيال، إبّان عدوان إسرائيل على لبنان في عام 2006، وعوض ترميم المقام بمبادرة حكيمة من بعض أبناء البلدة، تمّ، للأسف الشديد، هدمه بالكامل، وعلى أنقاضه أُنشئ بناء حديث، بمعونة ماديّة من دولة قطر".

ـ نشرتُ أعلاه "ز" في فايسبوك، وكان تعليق من "بلديّاتي"، وهو الصديق فادي، ولعلّ هذا التعليق يكون إضافة: "وكلّ ٦ أشهر تكسير وتغيير، كأنّو النّبي دانيال مسافر، ورجع، وما عجبو الديكور"!.

**

ح ـ "مسا الخير يا صديقي شوقي، أنا كلّما أتذكّرك، أو كلّما أرى صورتك، أو أقرأ كتاباتك، يشتعل بي الشوقُ إليك، أرى من خلالك كونين كلّها، بكرومها، بجبالها، بهضابها، ببركتها الكبيرة ـ معلّمتنا السباحة، بدَرَجِها الذي كانت الصبايا عنده تجلي، وكم أردّد دلعونيّتك التي ارتجلتَها فتيّاً في أوائل السبعينات، بطلب من صديق، وسط دهشتنا، وأنا حفظتُها: "اصْطَفُّوا الْصَبَايا عالْبِرْكِي يِجْلُوا \ بَنَاتْ عمْ تِغْسِل وبَنَاتْ عمْ يِتْلُوا \\ كلّنْ أَمَارهْ رِيْتُنْ ما يِبْلُوا \ صَبَايا كَوْنِينْ يا نُورِ عْيُونَا"، وممّا أحفظه عنك من تلك الأيّام: "دَخْلِكْ يـَ حِلْوِي عَنّي لا تْرُوحِي \ نَظْرِةْ عَينِيكِ بْتِشْفِيلِي جْرُوحِي \\ قلبيْ وْعقْلاتِي وْدَمّاتِي وْرُوحِي \ صرْتِي محْتَلّي يـَ أمِّ الِعْيُونا"، وأيضاً: "الله يِلْعنِكْ عِيْشِهْ بِكَونِينْ \ الْصَبَايا فِيكِي خِلقهْ مغْرورين \\ هَيْدي بِتْقِلِّكْ بِنْتا لَجَاكْلِينْ \ وْهَيْدِي بتقلّك مارلينْ مارْلُونَا"!.

**

ط ـ "الْضَيْعَهْ، يا شوقي، وْعِينِ الْتَحْتا، مشْتاقِينْلَكْ".

**

أخيراً وليس آخراً، أرسلَ إليّ يقول عن زوجته السيّدة "أمّ خليل"، الكريمة الأصل والفرع: "آخِر النهارْ بَدِّي ـ أريد ـ جِبِلْهَا ـ أجلب لها ـ ضرَّهْ، بسْ ـ فقط ـ ناطرْ تِتْحَلْحَلْ مِعي ماديّاً، عنْدي وِحْدِهْ بالفيليبين سْبِيْرْ ـ إحتياط"!.

__ ***** __

- إنتهي.

(كي لا تضيع:)

1 ـ "الحجاب"

كانت زوجةٌ، ولسبب ما مجهول، تتعرّض للتجاهل من زوجها، حارماً إيّاها "الخلوةَ الشرعية"، واستمرّ الحالُ شهرين، وفي منتصف ليلة أصابها أرقٌ، بدأتِ السخونة تمتدّ في جسدِها، ترتفع وتنخفض، ولزيادة الطين بلّة، كانت عيناها ترنوان الى زوجها فتلفيانه يغطّ في سباتٍ عميق، ويشخر شخيراً قولوا هو "زمّور ببّور"، ولكي تتخلّص من سوء طالعها قرّرتْ أن تقصد أحد الشيوخ، وتحديداً الشيخ علي الهمداني وهو من بلدة ميس الجبل المجاورة ـ جنوب لبنان، الذي بإمكانه أن يعمل لها حجاباً، ويفكَّ عنها ما هي فيه، وكان الشيخ في ذلك الوقت، بعدُ، لا يزال يقطن مع أهله في بيتٍ مطرِف، أي بعيد قليلاً عن بيوت البلدة، ومع طلوع الفجر انتظرتْ بفارغِ الصبرِ خروجَ زوجها إلى "الرعي" أو "الرعِيّه" ـ وفي حاله "رعي" البقرات، حملتْ سطلاً نحاسيّاً، مملوءاً لبناً يكفي أسرة، وديكاً

"حرزاناً" وزنه أكثر من 3 كلغ، وقصدتْ الشيخ، وهي في الطريق، قريباً من منزله، رآها شقيقُ الشيخ، وإسمه جمال، تحمل ما حرّك عصافير بطنه، التي تكاد تنفق من الجوع، قال لذاته أنّ "المرا" ـ المرأة "جايي بالتأكيد لعند خيّي الشيخ"، والشيخ علي لم يكن في البيت، ولئلاّ "تفلتْ" هذه الوجبة الدسمة، أسرعَ ودخل إلى البيت، ودلفَ الى غرفة أخيه، والتفّ بعباءة، ووضع على رأسه أي "خرقة" بيضاء اللون، وطرقتْ بابَ البيت، فتح لها مرحِّباً: "أهلنْ وسَهلنْ، تْفَضَلي"، سألتْه: "إنت الشيخ علي"؟، قال من دون تردّد، وبثقة تامّة: "أنا الشيخ علي"، قالت ما بها، وطلبت أن يعمل لها حجاباً يجعل زوجها يكفّ عن تجاهلها، تناول ورقةً وقلماً، وكتب كلمات، وحشر الورقة، بعد طيّها طيّات، داخلَ قطعة قماش صغيرة، ربطها ربطاً محكماً، وأوصاها أن تضع الحجاب فوق عتبة البيت، حتى إذا دخل زوجها "يتأثّر"، "وانْشاء لله بيِتْحَقّقْ مطْلَبِكْ"!، أخذت منه الحجاب بسرور، وعندما جنّ الليل، وزوجُها "كان متْعَشّى سَمَكْ"، "حنْفشتْ معه"، "جَبَدها"، فرحتْ، وعندما طلع الصباحُ تحمّمتْ، وأيضاً قبل أن يذهب زوجها الى رعي البقر عملتْ له فطوراً معتبَراً: بيضاً مقليّاً بالسمن البلدي، لبنة، زيتوناً وتيناً مغليّاً، و"لأنّ المرأة لا تخفي سرّاً"، ولكي "تحطّ على عين زوجها"، قالت: "مْلِيح اللي عْمِلْتلَّك حْجَابْ حتّى حَسّيتْ عَ دَمَّكْ"!، لم يصدّقْ، قالَ لها: "مشْ عمْ تِحْكِي مزْبوط، وإذا كلامِكْ مَزْبُوطْ خلّيني شُوف لِحْجابْ"، قامت مسرعة وأعطته الحجاب، أحضر مقصّاً وقصّ القماشَ الملفوف، فتح الورقة التي كتبها الشيخ المزيَّف، وكانت المفاجأة حين قرأ: "بْناكُلْ لَبْناتِكْ وبْنِذْبَحْ دِيْكِكْ، وبِي نِي كِكْ زَوْجِكْ وعمْرُهْ ما يْنِ ي كِكْ"!.

2 ـ "الحقُّ الشرعي!"

في جنوب لبنان، وإلى ستينات القرن العشرين، كان أكثر الناس لا يزالون في طبيخ وغسيل على "الحطب"، وفي مرّة مارس رجلٌ من قرية عنقون ـ جنوب لبنان "حقوقه الشرعيّة" مع زوجته، التي قامت صباحاً لتغتسل، ولقضاء هذه الحاجة، البسيطة، كان عليها أن تجلبَ الماء، وأن تجلبَ الحطب، وأن تشعلَ الموقد، وكم عاكسها الهواء وسوءُ التدبير، حتى من النفخ والنفخ والدخان تجمّرت عيناها، ولمّا ما من فائدة تملّكها يأس، وقالت، من دون أن تلتفت، إذا أحد ما يمكن أن يكون بالجوار، ويسمع: "الله يلعن النَ يْك، وْيلعنْ أبو اللي بِي نِي كُو"!.

3 ـ "إبن حبحب"

حدّثني الأستاذ المربّي نعمة قاروط ـ أبو صلاح، وهو من بلدة ميس الجبل ـ الجنوبيّة اللبنانيّة ـ عند الحدود مع فلسطين المحتلّة، وقال، ونحن نحتسي الشاي ويغمرنا فرح: كنتُ في مطلع ستينات القرن العشرين في ريعان الشباب، مات رحمة الله عليه الحاج أحمد حميد رضا، وذهبتُ "لأَحضر الأَجر" ـ لأشارك في العزاء، كانت "الدنيا تلج" ـ ثلج، وميس "مْصلّعهْ" ـ من الصلع، أو مكشوفة، قبالة جبل الشيخ، وما أدراك ما جبل الشيخ، ثلجاً وصقيعاً، وكان بيت المتوفّي من غرفتين، واحدة سُجّي فيها جثمان المرحوم، وحوله النسوة يبكين، والثانية احتشد فيها كبار السنّ، وبينهم أسعد حبيب، المعروف بإبن حبحب، يقرأ من "الأجروميّة"، وهي كتاب يضمّ "أساطير" و"قرآناً" و"أحاديث نبويّة" و"قصص أئمّة"، ورثه عن أبيه الشيخ ابراهيم حبيب، المشهور بقدراته العجائبيّة، مثل أنّه "يرْقي الحَيايا"!، قرأ إبن حبحب عن جهنّم، "لها 70 ألف فم، ويخرج من كلّ فم 70 ألف لسان من نار، وبين اللسان واللسان يطير السنونو 70 ألف عام"، وكان حظّي أنّي أجلس "برّه" ـ في فناء البيت، مع شباب كُثُر، ومعنا رجل مسنّ، صاحب بداهة وفكاهة، يُدعى "خنجر"، يرتعد من شدّة البرد، استفظع ما سمع عن جهنّم، صاح، قبل أن ينسى الجميع أنّهم في مأتم، وقبل أن يضجّوا حتى انقلبوا على ظهورهم ضحكاً: "أُفْ أُفْ يا إبنْ حَبْحَبْ، حرقْتِ الْدنيا بالنارْ جُوّا ـ أي في الداخل، وْنِحْنا برّا ـ أي في الخارج، عمنضرّط من البرد؟!، لو بِتْفلّتْلَكْ شِي لْسَانْ لَعِنّا ـ صوبنا"!.

4 ـ "البصّة المتلألئة"

الأستاذ كامل حبيب، وعقيلته الأديبة والناقدة والأستاذة الجامعيّة الدكتورة نجمة خليل حبيب، فلسطينيّان عاشا سنوات في لبنان، قبل أن ينتقلا إلى سيدني ـ أستراليا، ربطتني بالدكتورة نجمة علاقة صداقة، سألتُ الأستاذ كامل أخيراً من أين هو في فلسطين المحتلّة؟، قال إنّه من قريةِ "البصّة"، وبأسرع من البرق لفتتني كلمة "البصّة"، ارتسمت ابتسامة حقيقيّة على ثغري، فكم ردّدتُ، شابّاً يافعاً، كلمة "البصّة"، وأنا "أدلعن": "يا طيرِ الْطَايرْ مِنْ فوْقِ الْبَصَّهْ"، قلتُ له مسروراً أنّي أحفظ السطر الأوّل من دلعونيّة تذكر البصّة: "يا طيرِ الطايرْ منْ فوقِ البصّهْ \ سلّمْ ع البيضا السمرا شُو خصّا"؟، ووعدته أن أبحث عن باقي الدلعونيّة، وأن أنقل الدلعونيّة كاملةً إليه، وبحثتُ في الإنترنت، وعلمتُ أنّ البصّة هي بلدة فلسطينيّة تقع على الحدود اللبنانيّة ـ 19 كلم شمالي عكّا، يعتبرها مؤرّخون أنّها بلدة "عامليّة" ـ "جنوبيّة لبنانيّة"، أي واحدة من قرى جبل عامل، ولكنّها وقعت مع عكّا تحت الإنتداب البريطاني على فلسطين، وارتكب فيها البريطانيّون مذبحة عامَ 1938 متذرّعين أنّ القرية يحتشد فيها مسلّحون، ومن ثمّ دمّرتها العصابات الصهيونيّة تدميراً في سنة 1948، وأيضاً لم أعثر على الدلعونيّة، وأرسلتُ إلى الصديق عبّاس حيدر في لبنان طالباً

التحرّي، ولحسن الحظّ علمتُ أنّه يحفظها منّي!، أرسلها إليّ، وها أنا أنقلها، وإلى الصديق كامل، مع الحبّ له ولأسرته ولأهل البصّة الخالدة في القلب والذاكرة، والبصّة، بالمناسبة، تعني "المتلألئة"، ولفلسطين الحبيبة: "يا طيرِ ٱلطايرْ منْ فوقِ ٱلبصَّهْ \ سلِّمْ ع ٱلْبيضا السمرا شُو خَصّا؟ \\ إمّكْ يا حلوي يبْعتْلا غصَّهْ \ اللي فرّقتْ بيني وْبينِكْ يا عْيونا".

ـ سترجع البصّة إلى أهلها يوماً نحنُ نراه قريباً، ولو يراه الصهيوني الغاصب بعيداً.

\\

(من أقلامهم المضيئة)

1 ـ "شوقي مسلماني وطرائف أهل قريته الجنوبية: كونين"

ـ شربل بعيني

ـ إيلاف الباريسيّة.

"رفاق غربتي الطويلة بإمكاني أن أعدّهم على أصابعي، إذ ليس كلّ من تعرّفتُ عليه أو التقيته أو تعاملتُ معه أو كتبَ عني أو كتبتُ عنه يكون من رفاق دربي، وبين هذه القلّة تشعّ ابتسامة أخي شوقي مسلماني. وها هو شوقي يرمي بين يديّ مخطوطة كتاب جديد يجمع به نوادر وطرائف أهل قريته الجنوبية اللبنانيّة "كونين"، ويطلب مني الإطّلاع عليه وإبداء رأيي وملاحظاتي قبل أن يعانق الورق، ورغم محبّتي الغامرة لشوقي وجدت نفسي في موقف حرج، إذ كيف لي أن أقرأ كتاباً كاملاً في أيام قليلة، ومجلةُ "الغربة" مثقلة بعشرات المقالات التي من واجبي الإطّلاع عليها قبل نشرها، وبالتالي من غير المسموح بتاتاً أن أرفض طلب رفيق غربتي شوقي مسلماني.

لذا قرّرت بيني وبين نفسي أن أقرأ كلّ يوم طرفة واحدة فقط، هذا كلّ ما بإمكاني أن أفعله، كي لا أرفض طلب من لم يرفض لي طلباً طوال ثلاثين سنة وأكثر. وما أن بدأت بالقراءة حتى وقع ما لم يكن في الحسبان، إذ أنّني نسيت "الغربة" وتجديد أخبار "الغربة"، ورحتُ ألتهم نوادر الكتاب وطرائفه بشراهة، وضحكاتي الصاخبة تملأ المكان، ولسان حالي يردّد: أللّه عليك يا شوقي، ماذا فعلت بي؟. ولتدركوا صحّة ما أقول سأطلعكم على القليل القليل من نوادر أهل "كونين" الرائعة، مثلاً: "كان هناك شخص من بنت جبيل له شعر أشقر يأتي إلى كونين ويشتري زبل غنم وبقر ويأخذه محمّلاً على حمار. وبعد انقطاع استمرّ سنوات رأته

يوماً الحاجّة أمينة مهنّا حمّود "أم ناصيف" يرتدي بذلة عسكريّة، فقالت له مازحة: "مْنِ الدابّةْ للدبّابةْ"!. وأم ناصيف هذه إمرأة عادية جدّاً، أدخلها شوقي التاريخ دون معرفة منها.

وإليكم هذه عن لسان صديقه ابراهيم فوعاني: "في سنة 1969 كنّا في الصفّ الرابع إبتدائي، وكانت في صفّنا مريم الشيخ علي، وكان حسن طعّان متزوّجاً من أختها سعاد، وكان يسكن فوقهم مقابل المسجد، وكان عندنا في كتاب القراءة استظهار عنوانه "هُناكَ"، وفي الصورة راعي وغنم، وأوّل الغروب كان عدد من الشبّان واقفين تحت شجرة الزنزرخت، بجانب الأساطل السود، بالقرب من بيت شبلي، ومن بينهم الأستاذ سامي ديراني والأستاذ علي عبد الكريم مسلماني، وجاء حسن طعّان منهمكاً كأنّه يحمل "البلاغ رقم واحد" ويقول: "بكْتابْ مريم بنتْ عمّي مكتوبْ: "هُناكَ"!. وراح يروي حيث طلب من مريم أن تعيد ما تقرأ وكلّه عجب من هذا اللفظ البذيء في كتاب للأطفال".!

صحيح إن كتاب "كونين لطائف وطرائف" يحتوي على بعض الكلمات "النابية"، كما يحلو للبعض أن يسمّيها، ولكنّها كلمات تجري على ألسنتنا، كما تجري المياه في الأنهر، ومن المستحيل، لا بل من الإجرام أن لا يذكرها شوقي في كتابه، فهي هكذا قيلت وهكذا يجب أن تبقى، وإلاّ سيصدر الكتاب مشوّهاً وممقوتاً ومقرفاً، وهذا ما لا يريده شوقي . ومن هذه الطرائف "البذيئة ـ الجميلة" اخترتُ: "خديجة الحاج حسين، كانت حمارتها مربوطة بحبل في الجبّانة مقابل بيتها، وكان هناك جحش مربوط أيضاً، ولكنّ حبله كان طويلاً، وأطول من اللازم، رأى الحمارة واقترب منها لكي يرعى بالقرب منها، ثمّ حاول أن يقفز عليها، ولأنّه جحش تعربس بالحبل ووقع، وحاول المرحوم رفيق عناني الذي كلّه نخوة، وقد كان في الجوار، أن يساعد الجحش، وكانت خديجة الحاج حسين تراقب الوضع من مدخل بيتها، فخافت أن تحبل الحمارة إذا نهض الجحش، ولا يعود بإمكانها أن تحمل عليها صناديق الدخان، فصرخت قائلة له: "يا رفيق، بلا ما تْديرْ الحماره للجحشْ، درْ لُهْ طِيزَكْ"!. بربّكم قولوا: ماذا سيبقى من القصّة الفكاهية لو حذف شوقي كلمة "طيزك"؟. بالطبع لا شيء، ولهذا يجب أن تبقى لأنّها هي أساس الطرفة. وبالتالي من منّا لم يقل هذه الكلمة مئات المرّات في حياته؟. إنّها موجودة في الجسم البشري، وفي القاموس اللّغوي، وعلى ألسنة البشر كافّة. فلا فضّ فوكِ يا خديجة الحاج حسين .

ومن القصص التاريخية التي يسجّلها الكتاب قصّة المرحوم أبي خليل، جدّ ابراهيم فوعاني الذي: "كان يعمل عتّالاً في سوق السمك في بيروت، وكانت الجدّة في الضيعة. وقرّر، ومعه الحاج محمّد جنيدي، أن يذهبا إلى "السوق العمومي" ـ "سوق الشراميط"، وحدّدا ساعة الصفر بعد المغرب، عندما يحلّ الليل، حتى لا يراهما أحد من المعارف. وكان الجدّ يلبس ثياباً بالية، وسبّاطاً "بهدلة" ولا بنود له. ودخلا السوق، وبدأ الشجار بينهما. جدّي يريد أن "يركب" مِن "تبع النصف ليرة"، باعتبارها أصغر سنّاً، والحاج جنيدي يريد أن

يذهب لعند "تبع الربع"، أي الأكبر سنّاً، وكلّ واحد منهما متنتر بضاعته أمامه. وبينما الشجار مستمرّ لم ينتبها أن وراءهما أحد الشرطة يحمل كرباجاً ويسمع كلّ شيء فقال لهما: "بدلْ ما تدفعوا كلْ واحد نصف ليرة أو ربع ليرة للشراميط روحوا اشتروا ثياب وسبابيط"!. ورفع عليهما الكرباج، وتمكّنا من الهرب أخيراً. وكما تعلم كانت هناك عادة عند أجدادنا، عندما يتحمّمون، حيث تأتي الزوجة وتفرك ظهر زوجها وسط الإسطبل. ورأت جدّتي أثر الكرباج، فسألته عنه، فقال لها إنه من أثر العتالة والحبل!. ولكن بعد سنوات كثيرة اعترفَ بالواقعة وهو يضحك".

صديقي شوقي، بجمعِه لهذه النوادر، كان جريئاً وصادقاً لأبعد حدّ، كونه يعيش في بلاد تخطّت ثقافتها المحجوب من الكلام تحديداً، وأصبح كلّ شيء عندها حلالاً، ولهذا شدّني أسلوبه السلس، المرح، الى قراءة الكتاب مرّة ثانية وثالثة، وأتمنّى أن يحذو البعض حذو شوقي مسلماني، ويحفظوا نوادر وطرائف أهالي قراهم، كما حفظها هو، فقد كان السبّاق الى ذلك، وما علينا سوى التشبّه به. حماكم الله يا أبناء كونين. آه كم أنتم لطفاء وظرفاء وشرفاء. وألف شكر لك يا أخي شوقي، فلقد أسعدتني بكتابك.

2 ـ "كونين ـ لطائف وطرائف"

ـ عون جابر

ـ النهار البيروتيّة.

شهادتي كقارئ في كتاب الصديق الشاعر شوقي مسلماني "كونين ـ لطائف وطرائف" تبقى مجروحة، لأنّ كونين الضيعة العامليّة الوديعة والقريبة جدّاً من بلدتي بنت جبيل هي جزء من ذاكرتي، كوني كنتُ مدرّساً بمدرستها الإبتدائيّة بإدارة الصديق الأستاذ أحمد الدبق وغيره من الزملاء الأعزّاء، منذ مطلع السبعينات، وحتى هجرتي للولايات المتّحدة. لم ألتق شوقي يومها، ولكنّني ضحكتُ وعشتُ وشهدت وسمعتُ معظم اللّطائف والنوادر الواردة في كتابه الصادر عن دار " الفهد للنشر والتوزيع". ولهذا فعندما خصّني مشكوراً بنسخة قرأت بشغفٍ لسببين: أوّلاً لأنفضَ الغبارَ عن الذاكرة بعد طول البعاد، وثانيا لأنّني أعتبر أن الذكريات والثقافة هي وطن الُمغترِب الذي تعذّرتْ عليه جغرافيّة الوطن، وما زاد في متعة القراءة أيضا هو الأسلوب الشيّق والبديع الذي أضفى جمالاً ومؤانسة على لذّة الحكايات.

وما يلفت النظر هو قدرة شوقي على مزاوجة استعمال الفصيح السلس مع متطلّبات السرد لحوادث تستدعي استعمال الدارج من المفردات والعبارات والمفاهيم، وهذا ليس بالأمر الهيّن، أتقنه سلام الراسي سابقا ونجح به شوقي مسلماني حالياً، إضافة لجزالة الأسلوب.

أثبت شوقي أنّه حكّاء ماهر ومن الطراز الأوّل، يشدّ القارئ ويجذبه حتى النهاية دون الوقوع في التكرار والإجترار، وبدون إنهاك للمعنى، فاللّغة مفصّلة على قياس الحدث، فلا زيادة تبدّد متعة القراءة ولا نقصان في العرض يشوّه المغزى. طبعاً إنّ حفْظ المادّة إضافة إلى اللذّة والمتعة في القراءة قد تكون هدف الكتابة وتسجيل نوادر الضيعة، وهذا ما بدا في المقدّمة، ولكن يمكن الإضافة دون أن يكون ذلك من مقصد العمل بأنّ بناء هذه الذاكرة الضيعاويّة في فترةٍ زمنيّةٍ محدودة ولجيل محدّد يحمل دلالات إجتماعية وأنتروبولوجيّة وثقافيّة قد يستفيد منها أصحاب الإختصاص، ويمكن القول بأن هذا العمل هو بناء "للوطن" بالنسبة لمن يعيش بعيداً عنه خصوصاً لكونه خلاصة تجربة إنسانيّة عاديّة لأناس عاديين لا يقلّون أهميّة عن أبطال أمّهات الأعمال الروائية.

المبدع شوقي مشكور على جهده، وتسجيلُ هذه المشافهات الطريفة، ونشرها، إحياء لروح الضيعة العامليّة المشبّعة بالتشيّع العاملي المنفتح والحداثي بالمقاييس الثقافية ـ مجلّة العرفان ـ التي أصبحت مهدّدة بالضياع، أو في طريق الإندثار، بسبب العدوان الصهيوني الدائم، وبسبب ذاتي يتمحور حول التعصّب الطائفي، الحزبي، المذهبي، المهيمن، والذي لم يكتف باحتكار الحالة السياسيّة فقط بل صادر المخزون الثقافي الشعبي. من هنا أهميّة هذا الإصدار، كأنّه إعادة إعتبار لفرح لم يزد عن عمر الشرر، ولذلك يجب الإضاءة على أي مجهود وأي إبداع ثقافي يوثّق لمخزون الطرافة والفكاهة التي اكتنزها العامليّون، ليس لأنهم يحبّون الحياة فقط بل لأنهم يفهمونها جيّداً.

(أوراق كونينيّة)

1 ـ "أبو حسن: ليث العرين".

وقرأُت في موقع ألكتروني ـ آذار 2021 ـ للإستاذ بلال شحادي عن كبير شهداء كونين، القائد في المقاومتين الوطنيّة والإسلاميّة، الشهيد علي حسن ديب ـ أبو حسن، أنقله تسجيلاً:

"هو علي حسن ديب "أبو حسن"، أو كما كان يحبّ أن يناديه "الختيار" ياسر عرفات: "خضر"، الرجل الذي ما زالت هيبة حضوره تسطع في روضة الشهداء رغم تواضع ضريحه الذي لا يمكن تمييزه عن باقي أضرحة الشهداء. "أبو حسن" إبن بلدة كونين الجنوبية، رجل قلّ نظيره، فهو الذي عشق القضيّة حتى ذاب بها وأفنى فيها سني حياته، التي بدأها في رحاب المقاومة الفلسطينية قبل أن يلتحق بركب المقاومة الإسلامية. قائد هو من الطراز الرفيع، تشهد له كلّ الساحات، فهو المدافع عن بيروت أمام زحف آلة القتل الصهيونيّة، وهو الجسر الذي كسر كلّ محاولات حصار المقاومة الإسلامية والقضاء عليها، وهو سفير فلسطين حين عزّ الناصر، فلسطين التي حملها بقلبه حتى يوم استشهاده.

يروي لنا "أبو الفضل"، أحد الرجال الذين لازموا الشهيد وتربّوا على يديه منذ البدايات، عن تواضع الرجل وحبّه للمجاهدين، عن عزّة نفسه وعن إخلاصه ووفائه، قصصاً تكاد لا تنضب، نذكر بعضاً منها علّنا نعطيه بعض حقه. فعن حبّه للمجاهدين، يعود بنا صديق الشهيد لحرب نيسان 1996، حين انفجر نتيجة خطأ تقني أحد مخازن السلاح التابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أثناء نقل مجاهدي المقاومة الاسلامية لبعض العتاد منه، استشهد وجرح عدد من المجاهدين نتيجة الإنفجار، ومن بين الجرحى كان هناك أحد العاملين مباشرة مع الشهيد الذي توجّه شخصيّاً إلى المستشفى التي نقل إليها الجريح رغم الخطر الأمني وسارع لتأمين كل ما يلزم لإنقاذ حياته، وتابع الإهتمام به ورعايته حتى تعافيه . أما عن عزّة نفسه ووفائه، يحدّثنا صديق الشهيد عن رفضه لمبالغ طائلة من المال من قبل بعض الشخصيّات أثناء تولّيه منصب رفيع في المقاومة الفلسطينية من أجل دفعه لفكّ الإرتباط والتعاون بينها وبين نظيرتها الإسلاميّة واستمراره بالنهج الذي يعتمده رغم تحوّل المغريات الماليّة لتهديدات شخصيّة. وعن إخلاصه والتزامه بقرارات القيادة فقد دفع الشهيد القائد ثمن بعض التباينات السياسيّة بين قيادتي المقاومة الإسلامية والدولة السوريّة، وتعرّض للظلم والتعذيب في السجون، إلا أنّه صبر على البلاء والتزم بعد خروجه بأوامر قيادة المقاومة ولم يتعامل مع الأمر من منطلق شخصي خاصّ بل كان عشقه للقضيّة يعلو فوق كل اعتبار.

"أبو حسن البلاتين" كان أحد ألقابه أيضاً، نسبة لقضبان البلاتين التي تملأ جسده نتيجة إصاباته العديدة، كان قد التقى بعماد مغنيّة الشاب، وسرعان ما عيّنه نائباً له لشدّة إعجابه به، كما كان الشهيد مدرسة تتلمذ على يديها العديد من قادة المقاومة اللبنانية والفلسطينية والإسلامية، ومنهم الشهيدان الأخوان محمود ونضال المجذوب اللذان كانا يعملان معه على دعم الانتفاضة المباركة في فلسطين المحتلّة. استشهد في 17 تموز 1999 جرّاء عبوة ناسفة زرعت على طريق صيدا – عبرا بعد ست محاولات لإغتياله، كان قد خطّط لها العدوّ الصهيوني الذي كان يستشعر الخطر الناجم عن وجود الشهيد في قيادة العمل الأمني والعسكري في الداخل الفلسطيني. الشهيد البطل الذي لم يتبدّل عشقه لفلسطين كما لم يتبدّل إيمانه وتواضعه طوال سنين حياته وعبر كلّ مراحل حياته، قال فيه السيد حسن نصر الله أن المستغرب كان بقاء أبو حسن طوال هذه المدّة على قيد الحياة وليس استشهاده، فهو لائق بالشهادة وهي لائقة به.

سيبقى أبو حسن ليثاً لعرين المقاومة، حارساً لفلسطين، وعيناً تطلع منها كلّ صباحات الجنوب.

2 - "كونين بين رحلتين".

ومن محاسن الصدف أن أقع في جريدة السفير "البيروتيّة" على كلمة لجيلٍ كونينيّ جديد أيضاً هو د. عامر أحمد الدبق، فيها من الروح ما يتلألأ وهي تحت عنوان "كونين بين رحلتين":

"خيوطٌ سوداء متشابكة، تلمع عبرها مساحاتٌ بيضاء، تلتفُّ متعرّجة، وتتقاطع فيها رسومات غير واضحة، تنسجُ جدران فنجان قهوتي، كما تنسج جدران حياتي. تساءلتُ مراراً عن سرّ فنجان القهوة في الصباح الباكر، قد يكون في الطعم المرّ الذي يمتزج بطعم مرارة الحياة إجابة على التساؤل. في المساحة المتقطّعة بين مرحلتين أو زمنين أو رحلتين يبرز الوقت ومضات خالية تسمح برؤية مختلفة لما يحيط بنا وما نحيط به. في الرحلة الأولى كان الزمان قد توقّف عند لحظة من العام 1986. في تلك السنة كان لا بدّ لهذه القرية الثائرة على كلّ شيء أن تدفع "ثمناً ما"، وحين يتعلّق الأمر بإسرائيل سيكون الردّ هائجا ومسعوراً، تلك كانت عملية "الأسيرين" وكان "التهجير الثاني" بعد تهجير عام 1978، ومعه رحلة الى حياة متشابكة بين "الضاحية" و"خلدة"، وبين المدرسة والجامعة والسفر والحزب، وبين الكتاب والموسيقى، وبين الأصحاب والغناء والحرب والأحلام التي لا تنتهي.

كان لي موعد آخر مع الزمن المتوقّف في لحظة ما من العام 2000، وفي المكان الذي تركته قبل 14 عاماً، إنّه الحلم يتحقّق، تشاهده في الضفائر المتدلية بغرور على أكتاف الصبايا، كما تشاهده في عيون الرجال ترمق الدّنيا بنظرات موغلة في التحدّي، تشاهده في الأرض المزروعة بالأجساد، والمرويةِ بدمائهم، كما تشاهده في نسمات الهواء الآتية من صوب الشهداء مزهوّة بالنصر، مبتسمة.

أهي القهوة تأخذك الى مكان كنتَ تظن أنّكَ تجاوزته أو إلى مكان أصبح خلفك؟. فمن غير تمهيد ومن دون مقدّمات تقتحمك الذكريات، وتخترق سياج الحياة اليوميّة المتنامي باطّراد، السياج الذي يحوّل عقلك إلى آلة تمارس المهمّات ذاتها بشكل تلقائي حتى يتماهى رأسك مع الجهاز الآلي، مع فارق وجود القدرة على إطفاء الجهاز في أي لحظة، أمّا رأسك فهو في حركة دائمة لا تتوقّف إلاّ حين تسكن الى قبرك. هي الذكريات تأخذني الى الرحلة الثانية في الزمن الثاني. في هذه الرحلة كان الموعد أكثر نضجاً، التوقّعات أشدّ وأكبر، فحلم العودة لم يعد حلماً، والواقع أسقطَ مجدّداً حقيقة مسيرة الحياة في تفاصيلها الجميلة والبشعة.

الموعدُ كان مع نفسي في بحث عن شباب أو لقاء أو مناسبة لأشارك الناس أفكاري. "لا تتفاجأ اذا لم تجد أحداً يبحث عنك"، جملة كنتُ أردّدها بشكل متكرّر، فحين تمضي للبحث عمن يبحث عنك يجب أن تضع دائما نصب عينيك احتمال أن لا تجد أحداً. خلال الرحلة الثانية بدا وكأنّ العالم يفقد صوابه، لم تعد المظاهرات الممتدّة من "سياتل" الى "جنوى"

تكفي للردّ على اجتياحات "محادل" العولمة ومنظّمة التجارة العالمية. لجأ البعض الى وسائل مبتكرة وجديدة، فإذا بالطائرات المدنيّة تحطّ على حلبة جنون هذا العالم، وإذا بكلّ بشري يحمل إسماً عربيّاً أو لوناً عربيّاً يتحوّل عدوّاً لعالم لا يعترف إلاّ بالألوان التي منها الأحمر والأبيض، ومرصّعة بأكثر من خمسين نجمة تستطيع أن تحجب عن الأرض نور كلّ النجوم في الأفلاك بلحظة جنون طويلة الأجل.

حدث أن كنتُ في فرنسا خلال دراستي، كان لقاء العربي الأشقر مع الغربي الأشقر، تماماً كلقاء العربي الأسمر بالغربي الأشقر ذاته، ليس الشكل هو ما يفرّقنا عن بعضنا، ولا هو لون البشرة، فما تحت البشرة فروقات تجعل عناوين مثل "السلام العالمي" مفردات لا وجود لها في قاموس الشباب الذين يحاربون الدنيا بالحجارة والأجساد العارية إلاّ من الكرامة، وما تحت البشرة فروقات تجعل عناوين مثل "إرهاب" و"دول مارقة" و"محور الشرّ" تفاصيل تافهة لا نفهمها نحن الذين جئنا من الشرق، نعبر المطارات والعيون تراقبنا، المَهانة تتربّص بنا مع كلّ تفتيش يحمل إرث الإستعمار الإمبراطوري الأوّل، من روما الى أميركا، ومن المحيط الى الخليج. إنّه الزمن الثاني الذي ننظر اليه حذرين ونواجهه بغضب، كالطيف تمرّ الذكريات والزمان الرتيب يعزف لحناً واحداً لا يتغيّر. لم يكن للقهوة سرّ، إنّه الزمن الذي يتوقّف بين رحلتين، وكونين محطّة بين الرحلتين.

\\

3 - "يوم في حياة شوقي مسلماني".

ويوماً فتحتُ بريدي الألكتروني لأعثر على رسالة من الشاعرة والكاتبة والمترجمة جمانة حدّاد، كانت مسؤولة الصفحة الثقافيّة اليوميّة في جريدة النهار البيروتيّة، تقول إنّها تطلب من شعراء لبنانيين وعرب أن يكتبوا كيف يقضون يومهم، وهي ستنشر ما يكتبون تحت زاوية بعنوان "يوم في حياة "فلان" أو "فلانة"، وعليه فهي تطلب منّي أن أكتب، وحدّدتْ عدد الكلمات!.

والحقّ أقولُ أنّ طلبها أرعبني، قلتُ لها في بعض ما قلت: ".. ومَن هو شوقي حتى تكون زاوية بعنوان: "يوم في حياة شوقي مسلماني" وتُنشَر في واحدة من أكبر وأهم صحف العالم العربي، وهي النهار الرائدة في ابتداع "الصفحات الثقافيّة" و"الملحق الثقافي"؟. وقلتُ لها: "أنا في آخر الأرض ـ أستراليا، فمن ذا الذي سمع أو يسمع بي"؟. وكلُّ عذرٍ آخر ذهبَ هباء.

والواضح أنّ الشاعرة جمانة مؤمنة بي أكثر بما لا يُقاس من إيماني بنفسي. قالت: "أكتبْ ولا تجادل". لقد صدرت الأوامرُ الملكيّة التي لا تُردّ. وفي الأسبوع التالي نشرت جريدة النهار ما كتبتُ. وفيما أستعدُّ لإصدار هذا الكتاب ـ الحياة حكايات ـ وصلتني رسالة ألكترونيّة من صديق يقول فيها بوجوب أن أضمّن الكتاب الجديد ما نشرتْه لي "جهة الشعر" البحرينيّة، وهي مجلّة رائدة يقوم عليها الشاعر البحريني الشهير قاسم حدّاد. فتحتُ المرفق فإذ هو "يوم في حياة شوقي مسلماني" الذي نشرته النهار البيروتيّة ويبدو أن "جهة الشعر" قد نقلته عنها مشكورة. واستنسبتُ فكرة صديقي ولم أجادل:

"وأنا أحشدُ كلَّ طاقتي في عينيّ، لكي أرى أكبر قدر من تفاصيل المكان الذي يحتويني، والحركة الدائبة، أدفعُ بذاتي لتكون خلف ستارة غير مرئيّة، أو في الوقت ذاته أطفئ ذاتي وأُغرِقها في الظلمة، والضوء الذي كان موزّعاً بالقسطاط أجعله كلّه موضوعيّاً. أنا في الجانب الآخر من البرزخ، وهنا المفارقة وبيت القصيد في آن، أكون في الحقيقة حادّ الإنارة والحضور، ومستجيباً كما ليس في أي وقت. بعد ستّ ساعات نوماً، وأنا المتطلِّب لعشر ساعات نوم على الأقلّ، بسبب الجهد الذي أبذله في محيط الفوضى، وتمام الحادية عشرة قبل الظهر أمشي شبه مغمض العينين، وأُعدّ لنفسي "زهورات". أُصغي فقط إلى أوّل ثلاثة أخبار في فضائيّة "الجزيرة"، ووجهٌ من الرباعيّة العربيّة زائد لبنان.. آه، أراه، فأفرك جبيني. وبوجهي إلى الكومبيوتر والإنترنت وبريدي الألكتروني، ولهذا الأخير كلّي أوّلاً. عمدتُ مرّة أن أتّقن كيفيّة حجب بريد ما أسمّيه: "ما هبّ ودبّ"!، وفي يوم التطبيق كان بريدي الألكتروني نظيفاً، أي لا رسالة واحدة لا من كريم ولا من لئيم أو عابث وما شابه، وطبعاً ولا رسالة من "هبّ ودبّ"!. وأقول الحقّ إنّ النظافة إلى هذا الحدّ ليست من "الإيمان"!. ومن يومها صرفتُ النظر عن تلك الخطوة الجهنميّة "فاكتظّ يا بريدي الألكتروني بالعسل وإبر النحل". وجولة أولى على الصحف والمواقع الألكترونية التي لي عندها "حبيب"! وقيل: "يا بحر لي عندك حبيب"! و"حبيب" يطلّ، وأتفحّصه، والتقط له صورة أحفظها في ملفّ حقيقيّ لا إفتراضيّ، وأستذكر الناشر بالخير لأنّه لم يكن، أو لأنّها لم تكن، أقلّ رقّة. ثمّ جولة سريعة في الإتجاهات كلّها، وهذا الموضوع سأقرأه، إنه عن حركة "فاوست" في بيروت "ستّ الدنيا"، وهذا الموضوع سأقرأه، إنه عن الوضيع، وهذا الموضوع لن أقرأه، فالكاتب إشارتُه في جهة و"طاحش" على جهة. إنها تمام الأولى من بعد الظهر. زوجتي الآن خارج البيت، ستتّصل بي لإيقاظي، سيرنّ هاتفي الجوّال، الرقم رقم هاتفها الجوّال، أربع رنّات قبل أن أردّ. إحتيال أبيض. أشكرها أنها أيقظتني، وطبعاً بصوت أجشّ أو تائه، حيث يجب أن أكون مستعدّاً للإنطلاق إلى "مقبرة الأحياء الأموات"، بالنسبة اليَّ طبعاً، أنا في المآل الأخير يجب أن أكون متواضعاً، وأن أتحدّث عن نفسي. فقطار يمضي وقطار يصل ليمضي. وكتب الشاعر الصديق وديع سعادة عن حالي. الآلاف من الناس تشهدهم محطّة "سيدنهام" للقطارات. وبعد 30 سنة عملاً يقول لي والدي: "متى

ستطوّب الحكومة محطّة قطارات بإسمك، أقلّه قطاراً"؟. أمّي تبتسم وتقول: "الصحيفة والكتاب، ولا بأس من محفظة". والمسافرون لطفاء، ولكن لا تعدم من تقول له: "يا أخي"! أن يردّ قائلاً: "أنت لست أخي، أنا أبيض وأنت أسود"!. إنها العاشرة ليلاً. أنا منهك. قبل آخر لقمة، وقبالة التلفاز، تتثاقل عيناي. جملةُ الإستلطاف هي ذاتها حفظتْها زوجتي عن ظهر قلب، تسبقني إليها مبتسِمةً: "كم ملعقة منوّم جعلتِ في الطعام"؟. وأستلقي مثل "راكب ماشي" و"شادد حافي"، وبرامج عالم الحيوان لها المساحة كلّها حتى الأولى بعد منتصف الليل. وعودة مع الشراب إلى الكومبيوتر، وجولات سندباديّة تعجّ بالأهوال عن البلاد الأمّ و"المعذّبين في الأرض"، وساعة مع الكتاب الذي يحمل الكلمات ذاتها كعنوان. ها هي الساعة الآن تمام الخامسة فجراً. ألمٌ حادّ يتسلّل إلى أصابع يديّ. أنام كقتيل.

\\

4 ـ "الأب المثالي"

كلمة الإعلاميّة داليدا في حفل تكريم الحاج شاهر علي مسلماني "أبو شوقي"، وقد اختارته رابطة أبناء العرقوب ـ أستراليا أباً مثاليّاً لعام 2015:

"تداعيات إحتلال فلسطين، وقيام "إسرائيل"، كانت كارثيّة على أبناء جبل عامل ـ جنوب لبنان، وخصوصاً على أبناء القرى والبلدات الحدوديّة، لا فلسطين موجودة بعد، وقد كانت مجال عمل وأرزاق وخير كثير، ولا السلطات اللبنانيّة تلتفت وتحتضن أبناءها المنكوبين اقتصاديّاً. وبدأت هجرة الجنوبيين من أرضهم إلى الداخل، وتحديداً إلى العاصمة بيروت التي بدأت تحيط بها أحزمة الفقر. كان من ضمن المهاجرين شابّاً إلى بيروت إبن جاليتنا اللبنانيّة والعربيّة الكريمة في سيدني الحاج شاهر علي مسلماني "أبو شوقي". اشتغل في سوق الخضرة في وسط بيروت محصِّلاً يوميّاً ما بالكاد يجعله واقفاً على قدميه، ولكن بفضل إخلاصه وأمانته واجتهاده اعتمده سنة 1969 مطعم من مطاعم وسط بيروت، لكي يزوّده بما يحتاجه يوميّاً من الخضراوات، وكان هذا الإعتماد فاتحة خير. ومع تتالي السنوات وصل الأمر أنّ العديد من مطاعم وسط بيروت التجاري ومنها مطاعم النابلسي والنجمة وصفصوف والحياة وصعب وحرقوص الشهيرة في ذلك الزمان اعتمدته مزوّداً لها بالخضراوات. وعندما غادر وطنه لبنان مع أسرته الكبيرة في سنة 1977 إلى أستراليا ظلّ على سيرته في الإجتهاد، فلم يمض وقت قليل حتى التحق بأحد المصانع المحليّة. وفيما كان الحاج أبو شوقي مواطناً كريماً في عمله، كان أيضاً كريماً في أسرته التي أنشأها على المحبّة والتضحية والكرامة مع الناس، وكراهيّة الطائفيّة والعنصريّة والمذهبيّة، ويكفيه بَرَكَة أنّه أعطانا الزميل الكاتب والشاعر شوقي مسلماني الذي كتبت عنه كبريات الصحف

في العالم العربي، وأجريت معه المقابلات مثلما نشرت له مقالات وقصائد في صحف ومواقع كثيرة منها الحياة والقدس العربي اللندنيّتين، والنهار والسفير البيروتيتين وإيلاف الباريسيّة. ويكفيه بَرَكة أنّه أعطانا الحبيب والكريم محمّد شاهر مسلماني، صاحب الأيادي البيضاء، وهو الناجح في عالم التجارة، وكذلك أعطانا الأوفياء في رعاية الأهل، أي في رعاية الوالدين الحاج أبي شوقي والحاجّة أمّ شوقي، أطال الله بعمريهما، ومنهم الصديق شعلان، والعزيزة أشواق مسلماني حمّود، والعزيزة إبتسام مسلماني حيدر، وباقي الأبناء وهم علي وحسين وحسن مسلماني، وأخيراً وليس آخراً، ويكفي فخراً أنّه قدّم لنا أحد عناوين نجاحات أبناء الجالية اللبنانيّة والعربيّة في أستراليا، وهو السناتور، نصير العمّال والأبوريجنال ـ سكّان أستراليا الأصليين، ونصير فلسطين بلا منازع، النائب المحامي شوكت مسلماني. إليك يا حاج أبا شوقي نتقدّم في هذا الحفل بتحيّات الإكبار والمحبّة العميقة، ويسعدنا أن نحتفي بك رجلَ العام والأب المثالي في مدينة سيدني بالفخر وكلّ الإعتزاز".

\\

5 ـ "كان أوريجنال بحضوره".

وفاءً لعمّي كامل علي مسلماني "أبو محمّد"، عازف المجوز الذي كان شهيراً في سيدني ـ أستراليا ـ وطنه الثاني، والذي عنه نقلتُ في كتاب "كونين ـ لطائف وطرائف" أيضاً، أثبّتُ كلمتي في ذكرى مرور أسبوع على وفاته:

"أخيراً بلغتِ الرحلةُ مداها، ثمانية عقودٍ من الزمن والروحُ تتقاذفُها الأقدارُ بين الواحاتِ الفقيرة والرمالِ المديدةِ القاسية. ولكنّ الروحَ أيضاً قويّةٌ وعنيدة، تفرِدُ جناحيها أبداً ما استطاعت إلى ذلك سبيلا. هي رحلةٌ انطلقتْ من كونين، في جبل عامل ـ جنوبي الوطن الأمّ لبنان، حوّمتْ فوق الخليج العربي مرّة، صارعتِ الأقدارَ في بيروتَ، لتحطّ الرحالَ أخيراً سنة 1977 في سيدني ـ أستراليا ـ الوطن الأمّ الثاني. إنّها الأقدارُ تخطّ في الأمكنةِ علامات. إنّها الحياةُ التي تدفعُ نحو ما لا يخطرُ ببال، إذ كيف لتلك الروحِ التي انبثقتْ في كونين ـ المقلب الآخر من الأرض أن تدركَ نهايتَها المتباعدةَ في الزمن وفي المسافات، وكيف لتلك الروحِ الطفلةِ في العالم القاسي الذي جرّدها من طفولتِها مبكّراً، ودفعَها إلى سوقِ العمل مبكّراً، وعلى رغم كلّ الإجتهادِ من أجل لقمةِ العيشِ الكريمة أن تدركَ أنّها ستبلغُ أستراليا حيثُ ستبذلُ قطرةَ حياتِها الأخيرة؟.

أمامي انبسطتْ حياةُ عمّي ـ الراحل كامل علي محمّد أسعد مسلماني، كان الفتى المتفتّح الذاكرة، القويّ الخطوة، أُقفلَ عالمُ المدارس بوجهه فأقبل بسمعه وحفظَ عن ظهر قلب عدداً

لا يُحصى من قصائد كبار شعراءِ الزجل في لبنان وفي الطليعة: زين شعيب والسيّد محمّد مصطفى، ومثلها من لطائفِ وطرائف ونوادرِ أبناءِ بلدتِه كونين وأصدقائه من زملاء العمل في سوقِ سمكِ بيروتَ القديمة التي كانت تزهو على رغم كلّ شيء بما فقدتْه تماماً اليومَ بيروتُ التي باتت غريبة بما لا يُطاق عن ماضيها، وأكثر من ذلك فقد حفظ عن ظهرِ قلب أكثرَ قصّة الزير سالم شِعراً ونثراً. كان الراحلُ بما حفظ من جميلِ القول العامّي يفتتحُ كوّةً في الجدار. ولأنّ روحَه الفنيّة كانت عالية والإيقاعات في مسامعه عالية اتّقنَ في شبابه العزفَ على المجوز، وفي عهدِ الرئيس كميل شمعون، وفي حفلٍ تقدَّمَه الرئيسُ شمعون ذاته ـ خمسينات القرن الماضي، فاز أبو محمّد على آخر منافسيه بطولِ النفس، وكم أحيا أفراحاً بمجوزِه العامرِ أينما كان وأينما استقرّ به المقام، ومن منّا حضر عرساً في سيدني ولم يبادر إلى ساحةِ الدبكة قبل أن يصعد أبو محمّد إلى المنصّة، وكم كانت ساحةُ الدبكةِ تعجُّ بالدبّيكة رجالاً ونساءً، وكباراً وصغاراً، لمجرّدِ أن يسمعوا أنّ وصلةَ "أبو محمّد" على المجوز قد أزفّت.

كان أوريجنال بحضوره، لا تُذكرُ آلةُ المجوز إلاّ قُرِن اسمُه في سيدني بها، وكم أشاعَ الفرحَ على وجوه الجميع. جنّاتُ الخلد لك يا أبا محمّد".

ـ ونشرتُ الكلمة على صفحتي في فايسبوك، ونالت استحسان صديقات وأصدقاء، وأرفقوا استحسانهم تعليقاتٍ أستنسبُ بعضها، مع باقات الشكر والحبّ والورود للجميع:

ـ ".. الراحل أبو محمد، بإحساسه المرهف، كان ينقل لنا الأماكن الحبيبة على جناح نفس طويل، وبقصبةٍ فقيرة كان يثري غربتنا". **(جورج أبو شوقي قزّي).**

ـ ".. كانت حياته مليئة بالانجازات، عاشها حتى آخر نغم في مجوزه". **(محسن مسلماني).**

ـ "الامكنة لها رجالاتها، فأينما تحلّ تترك بصماتها، مؤثّرة حكاية أبي محمّد الذي يُدخل البهجة والسرور الى كلّ قلب، وخاصّةً في بلاد الغربة. نهنّئكم في اغترابكم أخي وصديقي شوقي، لأنّه كما قال أميرُ البيان: "الغِنى في الغربة وطن والفقر في الوطن غربة". طالت غربة الشاعر القروي فأرسل رسالة يقول فيها: "بنت العروبة هيّئي كفني \ أنا عائدٌ لأموت في وطني". فأجابه الشاعر السوري جورج صيدح يقول: "بنت العروبة هيّئي سكني \ أنا عائدٌ لأعيش في وطني". أعادكَ الله إلى وطنك لبنان بالصحّة والعافية يا صديقي شوقي، لتكمل من أدبياتك وثقافتك ونثرك الجميل". **(فريد الغول).**

ـ ".. دخلَ أبو محمّد كلّ بيت وكلّ قلب، كان تاريخاً للجالية اللبنانيّة في أستراليا، وللجالية الجنوبيّة خصوصاً، ولا نزال نفتقده ونتذكّره في أفراحنا وأعراسنا". **(علي قوصان).**

ـ ".. اللهمّ استقبلْهُ خالٍ من الذنوبِ والخطايا وأنتَ راضٍ عنه". **(الحرّة).**

\\

6 ـ "برْكة كونين".

كتبَ الأستاذ حسن بيضون تحقيقاً عن بركةِ كونين، وعن ظاهرةِ صيدِ السمكِ الجديدة فيها، نشرَهُ على موقعِ "بنت جبيل دوتْ أورغْ"، ونسختُه في حينه من طريقِ الكومبيوتر، إنّما على نحو مرتبك، بسبب من أعطال، وحاولتُ مجدّداً، والنتيجة ذاتها، صرفتُ النظرَ أخيراً باعتبار أن "التحقيقَ" على "الموقع"، ويمكن أن أعود إليه متى ما أشاء. واحتجتُه، فلم أجده، إلى أن التقيتُ الأستاذ حسن، وطلبتُه منه، ليتبيّن أنّ الموقعَ قد "ضُرِب"، ووعدني خيراً، ورجعتُ إلى المنسوخ المرتبك، وسعيتُ إلى ترميمِه، وكانَ الآتي:

"انتشرتْ في برْكةِ كونين، وهي بركة زراعيّة كبيرة تعود إلى زمان ما قبل الرومان، ظاهرةُ صيدِ السمك المتكاثر فيها بشكلٍ لافت، ويبلغ وزنُ بعضها أكثر من 2 كلغ.

وكونين بلدة جنوبيّة لبنانية تقع في محافظةِ النبطية ـ قضاء بنت جبيل، ترتفعُ عن مستوى سطحِ البحر 720 متراً، تبلغُ مساحتُها 10 كلم مربّع، ويبلغُ عددُ سكّانِها الآن حوالي 7000 نسمة.

يُلاحظ يوميّاً انتشار عدد من الشبّان من مختلف الأعمار على جوانبِ هذه البرْكة للاستمتاع بصيدِ الأسماكِ المتنوّعةِ الأحجام والأنواع والألوان، بعضها يتّصفُ بجماليةٍ خاصّة، وهي أسماك تُعرف بأسماكِ الزينة، ومنها التي تحاولُ بقوّةٍ أن تصلَ الى الأطعمةِ على وجه المياه، أو الهربَ بسرعةٍ فائقة.

وبعضها يستخدمُ أسلوباً مخادِعاً وقد استطاعَ الصيّادون التغلّب بالحيلة من طريقِ الطُعْم الذي يتكوّن من قطع خبزٍ أوعجين تُوضع في الصنارة، وهذه الأسماك هي بالآلاف، وتوجد معروضة للبيع في أسواقِ المنطقة، وخصوصاً في سوقِ بنت جبيل. وبلديةُ كونين تشجّعُ على اصطيادِ الأسماك هذه خصوصاً أنّ عددَها يتضاعف إلى ما لا قدرة للبرْكةِ على احتماله، ويُقال أنّه في سنة التحرير، أي في سنة ألفين، لاحظَ السيّد محمّد علي مسلماني (أبو سامي) أن بركْة كونين الكبيرة شبه مهجورة، فأقدمَ على خطوة، رمى فيها أكثر من 12 صنفاً، زوجين زوجين، من أسماكِ الزينة، وأمدّها بالغذاء كالخبزِ اليابس والأرزّ التالف.

وتكاثرتْ، وصارَ يعتاش من بيع ما يأخذه منها بشبكة، في سوقِ بنت جبيل، ولو كان لبلديّة كونين فرصة سانحة لاستفادت في تسويق هذا الكمّ من السمكِ الفائض في بركتها الكريمة، والفائضِ عن قدرةِ المسلماني على استغلاله، خصوصاً أنّ سعر السمكة منها في بلدان الخليج التي تُقبِل بشغف على هذا النوع يزيد على 20 دولاراً أميركيّاً بالحدّ الأدنى.

\\

7 ـ "أكبر معمّرة"

وفيما كنت أتصفّح جريدة الأخبار اللبنانيّة، وقعتُ على ما خطّه قلم الأستاذ داني الأمين، مسجّلاً عن حياة سيّدة كونينيّة تعيش في بلدة عيترون، فاقت عمراً زميلتها "شو شينغ" الصينيّة. وبما أن كتاب "الحياة حكايات" مثل كتاب "كونين ـ لطائف وطرائف"، تسجيل لجوانب في حياة أبناء كونين، لم أجد ضرراً أن أثبّت هنا ما قرأت، تحت عنوان: "أكبر معمّرة في العالم ـ فاطمة محمّد سعادة":

"قد تكون فاطمة محمد سعادة أكبر معمّرة في العالم، وهذا ما يفيد به تاريخ ميلادها المدوّن على بطاقة هويتها اللبنانية. هي من مواليد كونين ـ قضاء بنت جبيل ـ العام 1885، ما يعني أنّ عمرها تجاوز 128 عاما، أي قد تكون أكبر بـ 12 عاماً من المعمّرة الصينية "شو شينغ" التي بلغ عمرها 116 سنة، وتمّ إعلانها أكبر معمّرة في العالم.

وتقيم المعمّرة في منزل ولدها الأصغر ياسين مهدي ـ بلدة عيترون الحدوديّة اللبنانيّة مع فلسطين المحتلّة، ولم تعد تتذكّر في أيّ سنة كان زواجها من علي أحمد مهدي، الذي توفي عام 2002، إلاّ أنّها لا تزال قادرة على الحركة، وإدراك ما يدور حولها، كما سماع الأصوات المرتفعة أو القريبة، لكنّها لم تعد ترى جيّداً. وبحسب حفيدها أحمد حمد: "فقدتْ جزءاً من سمعها وبصرها منذ تسعة أشهر تقريباً".

وتوجد شكوك في صحّة تاريخ ميلادها، لكنّ أحمد يقول إنّ كبار السنّ في عيترون يؤكّدون أنّ عمرها لا يقلّ عن 110 سنوات، فهي تزوّجت وكان عمرها 27 سنة، وانجبت صبيين توفيا باكراً قبل أن تلد 11 ولداً آخرين. ويقول إبنها الثمانيني حسن إنّ والدته الكونينيّة الأصل "عايشت الحربين العالميتين الأولى والثانية"، ويعتبر إنّ تكريمها واجب، ليس بسبب عمرها، بل لأنّها "عايشت تاريخاً من البؤس والشقاء طيلة أكثر من مئة عام ولا تزال".

ويشير إبنها ياسين إنّ والدته تروي له قصصاً تعود الى أكثر من 100 عام، ومنها قصص المجاعة التي دفعتها مع الآخرين الى البحث عن حبّات الشعير داخل بعر الحمير، ولا تزال فاطمة تتذكّر كيف كانت "ترافق زوجها الى فلسطين سيراً على الأقدام، وتحمل البيض والحبوب على كتفها، وتعود محمّلة بجرار كاز صغيرة، خِفيةً من أعين الجنود الانكليز".

وأكثر من 300 حفيد وحفيدة لفاطمة المعمّرة، يعيشون في أكثر من بلدة ومدينة داخل لبنان، وفي الخارج، كما يقول إبنها حسن، الذي وحده لديه أكثر من 60 إبناً وحفيداً. ويقول: "أمّي أنجبت 13 ولداً، بينهم ولدان توفيا بعد ولادتهما بقليل، كما فقدت 4 من أولادها، بينهم الإبن الأصغر عبّاس الذي توفي في الرابعة والخمسين بحادث سيّارة، وثلاثة وافتهم المنيّة، وهم على فراش الموت، بسبب المرض أو السنّ".

(بأقلامهم الورديّة أيضاً)

ـ "كونين ـ لطائف وطرائف" يستحضر ذاكرة، ويستعيد الكاتب مشاهد ثريّة، بعين ذكيّة لا تتوخّى الاستعراض بل البساطة". **(جريدة السفير البيروتيّة).**

ـ "قصص وحكايات تعكس حياة أهالي كونين بأسلوب ممتع". **(صحيفة المثقّف العراقيّة).**

ـ "كتاب يرقى الى مرتبة الأدب الضاحك، الذي طالما أبقوه على الهامش، لأنّنا أمّة تعشق تقطيب الجبين والتكشير". **(صالح السقّاف ـ فضائيّة الجزيرة).**

ـ "لم أنم قبل أن أنتهي من قراءة الكتاب القصصي "كونين ـ لطائف وطرائف"، ممتع حقّا، يأخذك الكاتب في رحلة، مع أبطال القصص، حيث الحياة العاديّة، وعادات ولغة ونباهة وبساطة وظرافة وفكاهة وعفوية حاضرة. توثيق أدبنا الشفوي، وقصص "الضيعة"، عمل ثقافي بإمتياز، وضرورة، لئلا تضيع هذه الثروة الجميلة". **(اسكندَر منصور)**

ـ "بأسلوب شيّق، سهل التناول، يوثّق نصّ "كونين لطائف وطرائف" سيرة القرية اللبنانيّة، ومن ورائها سيرة كلّ قرية عربيّة. وفي كلّ لوحة من لوحات الكتاب هناك كشْفٌ عن ميزة من مزايا شعبنا العربي الطيّب. نصّ يكشف عن الذات القرويّة، وما تتميّز به من روح

سمحة ودعابة وصلابة وإرادة في مواجهة شظف العيش. نصّ ممتع ومفيد في حفظ ذاكرة القرية للأجيال القادمة". **(د. نجمة خليل حبيب).**

ـ "كتاب جميل، وكلّ القصص فيه على درجة واحدة من الجمال، والحديث عن كونين كأنّه حديث عن قرى الشرق كلّه". **(د. أحمد شبول).**

ـ "كتاب رائع، أسلوبه شيّق وحكاياته لذيذة". **(د. ماجد الغرباوي).**

ـ "استمتعتُ بأسلوب الكاتب الذي يرسم الحادثة، أو يصوّرها، كأنّها أحداث نعيشها الآن، وهي لطائف وطرائف معبّرة". **(د. علي رزق).**

ـ "كتاب أشبه بالمذكّرات، أسلوبه مميّز، وهو تراث خالد، مثلما هو توثيق مهمّ". **(أنطوان سابيلا).**

ـ "شيّق، ممتع، طريف ولطيف". **(واصف شرارة).**

ـ "كتاب كونين ـ لطائف وطرائف حضوره قوي في الذاكرة والوجدان". **(شوقي موّاسي).**

ـ "وَقعتُ على كتاب "كونين ـ لطائف وطرائف" مثل الواقع على كنز". **(فؤاد الورهاني).**

ـ "كلّما أشعر بالضجر أعود لكتاب "كونين لطائف وطرائف" وأقرأ منه فتنفرج أساريري". **(جواد غلوم).**

ـ "لأول مرّة يصدر كتاب باللغة العربيّة، يتحدّث عن يوميّات قرية جنوبيّة لبنانيّة، بالوقائع والاسماء والتواريخ". **(انطوان قزّي).**

ـ "رائع أن يزرع الشاعر شوقي مسلماني بلدته الجنوبيّة اللبنانيّة "كونين" في ذاكرة الناس". **(وديع شامخ).**

ـ "قصص، وبكلّ صراحة، ممتعة". **(صموئيل شمعون).**

ـ "نصوص جميلة". **(وديع سعادة).**

ـ "قصص كأنّها قصائد نثر". **(نصيف الناصري).**

shawkimoselmani1957@gmail.com